صائد الأقمار

رئيس التحرير
صلاح معاطي

المشرف العام
د. عطيات أبو العينين

الهيئة الاستشارية
د. طالب عمران (سوريا)
د. الهادي عياد (تونس)
د. قاسم قاسم (لبنان)
د. السيد نجم (مصر)
يعقوب الشاروني (مصر)
إقبال المطيري (الكويت)
واكد ماجد شعلان (سوريا)

إصدار

النخبة للطباعة والنشر

رئيس مجلس الإدارة
أسامة إبراهيم

المدير التنفيذي
سماح الجمال

المدير الفني
أحمد جابر

تصميم الغلاف
علاء قابيل

الطبعة الأولى
أبريل 2016 م
جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 2016 /5906
ISBN: 978- 977 -6516 - 05 -2

سلسلة شهرية تصدر عن:
دار النخبة للطباعة والنشر والتوزيع

٣٣ شارع السنترال - المجاورة الأولى - الحي الأول-
مدينة الشيخ زايد - الجيزة - مصر

تليفون: ٣٨٥١١٩٦٩ - ٠٠٢٠٢
٠٠٢ -٠١٢٨٨٦٨٨٨٧٥
E-mail: alnokhoba@gmail.com

سلسلة الخيال العلمي

١

صـائد الأقـمار

صلاح معاطي

هذه السلسلة من الخيال العلمي

الأفكار طيور تحلق في سماء الحاضر بغية الوصول إلى المستقبل، جناحاها «الخيال» بما يحمله من رؤى وتصورات وإثارة وإبداع، و«العلم» بما يحمله من تجارب وخبرات واكتشافات قد تتجاوز حدود الخيال ولا تقف عند الواقع.

وأدب الخيال العلمي يعتمد على الأسلوب والجملة الأدبية كأي عمل أدبي، لكنه يتحرك في بيئة علمية تنظر إلى أبعد مما هو موجود بالفعل وتستشرف آفاق المستقبل اعتمادا على ما وقع من أحداث في ظل القوانين العلمية.. وعلى الخلفية العلمية للكاتب ومتابعته لمنجزات العصر وأحدث الاكتشافات، بشرط أن تكون لديه مخيلة لا حدود لها وحساسية دقيقة نحو التطور التكنولوجي والتقني المحتمل.

وهذه السلسلة تهتم بكل مجالات الإبداع في الخيال العلمي، من رواية وقصة ومسرح ودراسات أدبية، مع التركيز على الشباب وتشجيعهم بنشر إبداعاتهم لتكون الخطوة التالية هي وضع هذه الكتابات على طريق السينما والدراما.

ومن «مركز النخبة» نحلق بالخيال العلمي إلى المستقبل المحتمل والممكن مصريا وعربيا وعالميا..

(١)

أغمضت السماء عينيها الذابلتين مسدلة جفونها على صفحة الوجود لتحيله إلى عدم، وتثاءبت الأرض في تكاسل شديد قبل أن تتسلمها ارتعاشة النعاس الأخير، وغابت الشمس من على وجه الحياة وتبعها القمر ولم تبق سوى سحابة جليدية عاتية تغلل محيط الأرض، فبدت كعروس جميلة تتواري في كفنها.

من بعيد كان الناس يتقافزون كالفشار بعد أن لفظهم كوكبهم الأثير وراحوا يسبحون في فضائه مبتعدين عنه وهم يصرخون في فزع، بينما كنت أحاول مع الناس أن أتشبث بصخور الأرض حتى لا ننفلت منها، لكنها كانت سائرة نحو مصيرها المحتوم وكأن يدا قوية تجذبها إلى المجهول.

كنت أنطلق في الفضاء دون إرادة أتردى في سرمدية مظلمة كأنني أتهاوى في أعماق جب ليس له قرار.. أصرخ بلا صوت، أتملص بلا وعي، أتشبث باللاشيء، محاولا أن أمسك بأهداب الحياة التي فرت من بين أيدينا في غفلة منا.

ياله من كابوس فظيع.. لم تكن المرة الأولى التى أرى فيها هذا الكابوس، فقد اعتاد زيارتي ليقض مضجعي ويقلق منامي..

لا أدري ما الذي أصابني.. فجأة أحسست بإعياء ودوار.. تركت فراشي.. ذهبت لأعد لنفسي كوبا من الشاي.. رأسي قطعة من الإسفنج.. هكذا

خيل إلي.. لم أشعر بجسدي فوق قدمي.. عيناي زائغتان.. إحساس غريب ينتابني لأول مرة في حياتي.. أشعر أني أحلق في الهواء.. ارتعد قلبي لتلك الفكرة.. سرعان ما نحيتها جانبا..

وقفت أمام المرآة متهيأ لحلاقة ذقني. شعور غريب استولى علي. لم أشعر بالارتياح إلى تلك الصورة التي تطل إلي من خلال المرآة .. صورتي.. تساءلت.. هل يمكن للإنسان أن يمل صورته؟.. عدلت عن حلاقة ذقني. تركت المنزل وقد تضخم لدي الشعور بعدم الارتياح إلى الضجر من كل شيء يحيط بي.. الناس، الحيوانات، السيارات، الطرق، حتى المباني.

لم يكن لدي أدنى شك في أن الناس يبادلونني نفس الشعور وتلك النظرة بالتأفف والضجر. الجميع لا يطيقونني، يبدو أنني قد فقدت جاذبيتي.. طلقت زوجتي بالأمس بلا سبب، فجأة شعرت بكراهية شديدة نحوها، لم تعد تجذبني. وأرسلت ابنتي نور ذات الخمس سنوات إلى مدرسة داخلية. هي الوحيدة التي تشعرني بأنه مازالت توجد بعض جاذبية في الحياة..

ما أسوأ هذا الشعور.. أن تجد قوى التجاذب بينك وبين الناس قد فترت وحل محلها التنافر والحقد والكراهية بلا مبرر.. عدت إلى البيت سريعا وأنا أفكر في الحالة الشاذة التي وصل إليها الناس، وكأن كل الخيوط التي كانت تربطهم فيما قبل قد تمزقت..

شعرت بالجوع، لم يكن لدي الرغبة في الطعام.. أريد طعاما لا أعرفه ولم

أذقه من قبل. طعاما ليس له وجود على هذه الأرض.. شعرت بالظمأ.. بالرغم من أن الماء كان قريبا مني، فإنني لم أجد داخلي الرغبة في ارتشافه، فهذا الماء لا يروي ظمأي ولا يبرد النار المستعرة داخلي..

يا لمزاجي المنحرف.. ما الذي أصابني وأصاب الناس في آن واحد.. يا إلهي.. أطرافي تحولت إلى قطع متلاصقة من الثلج.. عاودني الإعياء ثانية.. يجب أن أذهب إلى طبيب.. ارتديت ملابسي بأصابع مرتعشة.. طرت فوق جدران البيت.. اندفعت في الهواء.. لا أدري لماذا الناس كانوا يحملقون في بدهشة..

انتهى الدكتور «وحيد محمود» من توقيع الكشف الطبي علي.. بعد أن أجرى التحاليل اللازمة بادرني قاطعا الصمت الذي جمعنا لفترة وهو ينظر إلى صورة الأشعة:

أنت عديم الوزن..

في البداية ظننته يوجه إلي سبا فقلت مستفسرا:

ماذا؟

أعاد علي ما قاله:

لقد فقدت وزنك..

كيف؟

كم كان وزنك آخر مرة؟

فكرت قليلا قبل أن أجيب:

كان هذا منذ أسبوعين تقريبا.. أعتقد أنه بلغ ٦٦ أو أكثر قليلا..

حرك الدكتور «وحيد» رأسه يمنة ويسرة، وارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة وهو يضغط على كلماته:

مؤشر الميزان الحساس لم يصل إلى ثلاثين كيلو جرامات..

نظرت إليه فاغر الفاه غير مصدق، فلاحقني بسرعة:

هذا طبعا ليس وزنك الحقيقي..

أين وزني إذن؟

سألت وأنا أبلع ريقي من الرعب، فأجابني:

هناك تغيير ما طرأ على خلايا جسدك.. فجعل لديها القدرة على مقاومة الجاذبية الأرضية، فأنقصت من وزنك حوالي أربعين كيلو جراما دفعة واحدة..

دق قلبي، ورحت أسأل بصوت مرتعش في خوف:

كيف حدث هذا؟

لا أستطيع التكهن بالضبط.. فلا توجد أمامي أسباب محددة.. قد تكون عوامل وراثية، أو ميكروب أتى من الفضاء الخارجي واختارك أنت بالذات لتكون ضحيته الأولى، أو ربما طفرة.. فما أكثر الظواهر الغريبة التي تظهر في عالمنا الآن.. حتى صارت الأشياء المألوفة لنا طفرات..

مشيت من عنده وفي نفسي عزم أكيد على أن أعيش عمري بكل ما بقي من وزني.. ووجدت من ملاحقة الحسناوات والإيقاع بهن هواية قديمة كنت قد أقلعت عنها منذ سنوات، فإذا بها تعود إلي بشكل هيستيري كالذي يرجع إلى التدخين بعد الإقلاع فإذا به يجرب كل الأنواع. من السجائر، فالطباق، فالشيشة، إلى المخدرات بأنواعها. فأصبح داء من الصعب علاجه..

أجل أنا.. كازانوفا، عربيد، زير نساء.. قولوا عني ما تشاءون. هذه هي متعتي الوحيدة، سر تمسكي بالحياة وبدونها فالفناء أو الموت. فياله من عالم فريد جذاب. عالم النساء.. لا يمكن تصور الحياة بدونهن، خاصة وأن لكل واحدة ميزة تميزها. فالسمراء غير الشقراء غير القمحاوية غير الآسيوية، فلكل عين بريقها ولكل شفاه مذاقها ولكل جسد لغته. ولأنني خبير فلي عين جواهرجي تكشف بريق العيون فتعرف ما هو أصلي وما هو مزيف، وذواق أميز بين الطعوم فأختار أجودها، كما أنني أجيد التحدث بكل اللغات.. فما أن ألمح إحداهن وقد أقبلت ببريق يخطف الأبصار وشفاه إذا تحركت سحرت وجسد إذا هام تهيم الهوام على خطوه، فتكون في لحظة

كوكبا وأنا تابعه، بل قمر تألق في ليلة تمامه وما أنا إلا جرم سماوي شارد فإذا بي أقع في أسره وأدور في فلكه.

لكن ما أدهشني هذا الصباح ذلك الإحساس الغامض بالفتور والخمول والكمون.. فقدت موهبتي وفقدت جاذبيتي..

(٢)

كان من الممكن ألا أصدق لولا أن محدثي الدكتور أسامة الكاشف الخبير بوكالة أبحاث الفضاء الدولية أكد لي وهو يقسم أغلظ الأيمان أن ما يقوله هو الصدق، ثم أضاف وهو يذكرني بأحداث مماثلة وقعت منذ بضعة أعوام:

لعلك تذكر يا دكتور صبري بحثي الذي قرأته عليك منذ أكثر من عشرين عاما وتنبأت فيه بأن خللا كيميائيا سوف يطرأ على جو الأرض قد يترتب عليه إحداث فجوات وثقوب في الغلاف الجوي، يومها أخذت تجادل وتحاور وتقول إن هناك معدلات ثابتة تتحكم في جميع العناصر المكونة لكوكبنا وأي نقص في عنصر سيتبعه على الفور زيادة في عنصر بديل يحل محله، وبعدها بشهور قليلة أعلن العلماء عن اكتشاف ثقب الأوزون.

قاطعته:

هذا لا يعني أن جميع نظرياتك صحيحة يا دكتور، فلو أصاب حدسك مرة قد يخيب الأخرى.

أسرع يعقب كأنه لا يسمعني:

والشق الكبير الذي يلف الكرة الأرضية مختبئا تحت قيعان البحار والمحيطات شاطرا إياها إلى نصفين، أ لم أحدثك عنه أنت بالذات ؟

الشق موجود منذ ملايين السنين، وقد ألمح إليه العديد من الباحثين قبلك يا دكتور أسامة.

ابتسم بمرارة وهو ينظر لي كأنه يفحمني:

والنيزك الضخم الذي ارتطم بكرتنا الأرضية جالبا معه عواصف وزلازل وبراكين، انتشرت في أنحاء متفرقة من العالم، أ لم أنبئك بقدومه قبلها بشهور.

أسقط في يدي، فرحت أتجه نحو النافذة وأنا أنظر إلى السماء محدثا نفسي بصوت مسموع:

أ هذا معقول ؟ أ بعد مئات الملايين من السنين استمر فيها القمر تابعا أمينا للأرض يدور حولها في ثبات وانتظام، نتطلع إلى وجهه المضيء في الليالي

الصافية، تتعلق به عيون المحبين وقلوبهم في وله وشوق، مثيرا قرائح الشعراء فيكتبون فيه القصائد والأشعار. يأتي اليوم الذي يختفي فيه القمر من السماء ولا يعود له وجود.

ووجدت الدكتور أسامة يقف خلفي ويعقب بنبرة حزينة:

أتعلم ماذا يعني اختفاء قمر؟ أن يسود الظلام كوكب الأرض وتغرق المدن الساحلية بسبب توقف عملية الجزر التي تحدث بالمحيطات، ويقصر اليوم على الأرض ليصبح ثمان عشرة ساعة فقط، وتقل الجاذبية الأرضية وينقرض تبعا لذلك العديد من الكائنات التي لن تستطيع أن تتوافق مع التغييرات التي ستحدث على الأرض بفعل اختفاء القمر. وستهاجم الأرض آلاف الشهب والنيازك التي كان القمر يغير مسارها..

يسكت قليلا ثم يضيف:

– أجل. سيختفي القمر إلى الأبد ولن يبقى منه سوى تلك الصور الجميلة المحفورة في أذهاننا، ونطل بأعيننا نحو السماء البليدة الموحشة وقد هجرها النور إلا من ثقوب صغيرة غائرة صنعتها نجوم متناثرة هنا وهناك ونردد في أسى، كان هناك قمر!

رحت أسأله وأنا أعود إلى مقعدي:

كيف يحدث هذا ولماذا؟

جلس قبالتي ثم أجاب وهو يهز رأسه مؤكدا:

مذنب جبار سيزور مجرتنا قريبا، سيتجه نحو الأرض ويحيط غباره الكثيف بالقمر ثم يأسره في قبضة جاذبيته وينطلق به مبتعدا في أعماق الكون.

أغمضت عيني لأستوعب حجم الكارثة التي ستترتب على اختطاف قمر، بينما مضى الدكتور أسامة الكاشف يتحدث عن ذلك المذنب القرصان ذي النواة المغناطيسية الرهيبة الذي اعتاد زيارة مجرة سكة التبانة على فترات معينة كل عدة مئات من السنين، وفي كل مرة يجذب معه أحد أقمار المجموعة الشمسية ويفر بعيدا، ففي المرة السابقة، أي ما يقرب من ثمانمائة سنة اختطف أحد أقمار الكوكب زحل، وفي المرة التي قبلها استولى على تابع للمشتري.

راح أسامة يلقي على مسامعي صحيفة سوابق هذا المذنب المجرم العتيد، لكنني لم أكن أسمعه تماما، فعقلي لا يستطيع أن يتصور أن الخطف والسرقة والقرصنة يمكن أن تلصق بمذنب وهي صفة اتصف بها الإنسان دون غيره، تطلعت إليه بعينين يائستين يتخايل فيهما أهداب الأمل والرجاء:

ألا يمكن أن تكون مخطئا يا دكتور؟

للأسف ما قلته لك ليس حدسا أو تخمينا وإنما حقيقة واقعة علينا جميعا أن نواجهها.

ثم عقب وهو يهز رأسه في أسى:

المذنب قادم لا محالة، فلا جبل عاصم ولا بحر حام.

اندفعت بسذاجة الغريق اليائس الذي يبحث عن قشة ليتعلق بها:

فلنترك المجموعة الشمسية بكواكبها وأقمارها، لقد تمكنا من اكتشاف مجموعات شمسية أخرى تقع على أطراف مجرتنا سكة التبانة. لماذا لا نصل إليها ونستعمر كوكبا مناسبا.أو نبحث عن مجرة أخرى أكثر أمانا.

لمحت دموعا تتجمع في مقلتيه وهو يوصد في وجهي آخر أبواب الأمل:

مع الأسف ما سيصيب القمر وبالتبعية الأرض قد يصيب أي كوكب آخر في أي مجموعة شمسية بالمجرة. ثم إن أقرب مجرة إلينا هي مجرة أندروميدا تبعد عنا بمسافة مئة مليون سنة ضوئية، أين لك بسفينة الفضاء الخرافية التي ستنطلق بنا بسرعة الضوء لمدة مئة مليون عام.

شعرت بحلقات زحل تحلق حول رأسي مصيبة إياي بدوار فأغمضت عيني في إعياء وأنا أردد:

الكارثة واقعة إذن.

لدهشتي فوجئت بالدكتور أسامة الكاشف الذي كان يتحدث طول الوقت بثبات العلماء ينهار على أقرب مقعد ويجهش:

صدقني يا صبري أنا لست خائفا على حياتي، فعالمنا الذي يضج بالعديد من الكوارث والأوبئة تجعلني متوقعا أيا منها في أي لحظة، لكنني حزين أن تنتهي البشرية هذه النهاية المأساوية في غفلة منا، فالحياة بلا شك جميلة وأجمل ما فيها ألا تتوقع نهايتها. فما بالك والنهاية المفزعة تتربص بنا تنتظر اللحظة المواتية لتنقض علينا مخلفة الدمار والفناء لكل شيء جميل على الأرض.

سكت قليلا ليبتلع ريقه ثم عقب:

أنت يا صبري فضلا عن كونك خبير بالموضوعات العلمية والتكنولوجية فأنت صحفي ناجح وكاتب مرموق. الناس تجتمع حول قلمك، ومن يستطيع أن يجمع الناس على فكرة واحدة يمكنه إيجاد الخلاص لهم؟

دعك من هذه الأفكار الفلسفية وأخبرني كيف نجد الخلاص. أ لست أنت العالم، كما ترى الخطر وتتوقعه تعرف كيف يكون الحل وأين؟

صدقني يا صبري. حينما يعجز العالم عن إيجاد الحل يشعر بقمة جهله..

أتم جملته، ثم تركني وخرج مندفعا وهو ينتحب. كان بكاء الدكتور أسامة الكاشف بمثابة ناقوس خطر راح يطن في أذني طنينا مزعجا جعل الدماء تصعد إلى رأسي دفعة واحدة.

(٣)

صدق حدس الدكتور أسامة الكاشف، فلم يمض سوى بضعة أسابيع على حديثه معي حتى كان خبر زيارة المذنب العملاق يتصدر نشرات الأخبار ومواقع التواصل الاجتماعي، والشاشات الخلوية الحديثة المنتشرة في الفراغ. في البداية نظر الناس إلى الخبر بلا مبالاة كأن الأمر لا يعنيهم، فماذا يعني لهم اختطاف قمر. بل إن الحدث عد بالنسبة لهم أهون بكثير من اختطاف رغيف من الخبز، لكن بمرور الوقت بدأ الحدث يزداد أهمية حاملا معه الرعب والفزع بعد أن مثل اختطاف القمر خطورة على هيكل الحياة على سطح الأرض. فأية كارثة هذه التي ستحل بقمرنا الوحيد، وما سيتبع ذلك من كوارث لا يعلم مداها إلا الله ستحل بالتبعية على كوكب الأرض.

سرعان ما انتصبت نحو السماء عدة رؤوس نووية على أهبة الاستعداد للانطلاق في اتجاه هذا المذنب الجبار بمجرد دخوله مجرة سكة التبانة لحمله على تغيير اتجاهه، وبدأت أجهزة الرصد الإليكترونية تقتفي أثره في الفضاء لعلها تتعرف على بصماته وتتعامل معه.

لم أكن مقتنعا تماما بالإجراءات الساذجة التي اتخذت للتعامل مع المذنب، وكأن الأمر يتعلق بمجرم خارج عن القانون، ولكن هذه هي عادتنا دائما في التعامل مع كوارث من هذا النوع، فبعد أن يتهم بعضنا بعضا بالتآمر والتقصير والإهمال والتخلي عن المسئولية نتصرف بدون وعي أو إدراك

لطبيعة المشكلة وحجم الكارثة، فإرسال صواريخ نووية نحو المذنب قد يؤدي إلى ابتلاع المذنب للمخزون النووي لتلك الصواريخ داخل نواته المغناطيسية ويتجه بقوته الجديدة إلى الأرض ليحدث بها ما لا يحمد عقباه.

كان هذا هو أيضا رأي الدكتور أسامة الكاشف الذي راح يؤكد كلامه ببعض النظريات العلمية حيث تكون هذه المذنبات العملاقة ذات رأس ضخم وذيل طويل، تندفع في الفراغ المتناهي بقوة رهيبة اكتسبتها بما تحمله من أقمار وبقايا كوكبية كانت قد استولت عليها عبر رحلتها التاريخية الطويلة، فتكون لنواتها قوة جاذبية كبيرة تلتهم ما تجده في طريقها من أجسام.

ما الذي تراه يا دكتور؟

سألته سؤال اليائس الذي يبحث عن طوق نجاة ولو قشة في محيط، فإذا بالعالم الكبير يجيب إجابة أشد يأسا:

يجب أن نتعامل مع الحدث حسب ما هو متاح من بدائل ممكنة فلابد أولا من معرفة سرعة انطلاق المذنب واتجاهه ودرجة ميله والمواد المكونة لنواته والزمن المتوقع لوصوله لمجموعتنا الشمسية وبالتالي إلى القمر، فهذه المعلومات بالرغم أنها لن تمنع حدوث الكارثة لكنها قد تساعدنا في التعامل معها.

بدأت أجهزة الرصد الراديوية والتليسكوبات الإليكترونية وغير الإليكترونية تمسح الفضاء مسحا بحثا عن لص الأقمار هذا، فما لا تكشفه

بؤرة العين تتلمسه حتما الإليكترونات والدقائق والأجسام المجهرية.. حتى لمحناه وتعرفنا عليه ورأيناه بأمهات عيوننا بالرغم من بعده الشاسع وقدرته الفائقة على المناورة والتخفي ككل المجرمين يظهر حينا ويختفي حينا، يندس وسط مجموعة نجمية فنخاله نجما تابعا لهذه المجموعة، أو يختبئ خلف كوكب بعيد ضاغطا ذيله الطويل فنحسبه قمرا لهذا الكوكب..

ومع ذلك فالمعلومات التي جمعت عنه كانت شحيحة، فمن الوهلة الأولى يبدو مذنبا ككل المذنبات يحتوي على ما تحتويه معظم المذنبات من عناصر كالحديد والكالسيوم والصخور بالإضافة إلى كتل الجليد فضلا عن ذيله الغازي الطويل الذي يتجاوز مئات الملايين من الكيلومترات. لكنه يختلف عن المذنبات العادية في حجم نواته الضخم الذي يقترب من حجم الكويكبات الكبيرة، كذلك مساره فهو لا يتجه نحو الشمس كغيره من المذنبات وإنما نحو الأقمار وبالتحديد أقمار المجموعة الشمسية..

لكن ما أدهشني حقا سرعته الخرافية التي تتجاوز الثمانمائة كيلو متر في الثانية الواحدة وهي تقدر بضعف سرعة المذنبات العادية وربما سرعته الكبيرة هذه ترجع لحجمه الضخم وذيله الطويل الذي ينطلق به سابحا في الفضاء. واستطعت تحديد الزمن التقريبي للوصول إلى كوكبنا وبالتالي قمرنا العزيز وذلك في غضون العام.. أجل عام.. قد ينقص أو يزيد لكنه سيصل في النهاية ليحقق مبتغاه ويقتنص قمرنا ويرحل به إلى أعماق الكون لتظلم الأرض بعدها إلى الأبد.

انتبهت على صوت أنثوي ناعم يصدح خلفي برقة وكأنها قرأت ملامح الأسى على وجهي ومن نظراتي إلى الشاشة:

لا تسرف في التشاؤم يا سيدي، فزاوية ميل هذا المذنب على محوره والتي تبلغ ٦٠ درجة تتناقص بمقدار جزء من ألف جزء من الثانية، ما يعني أنه قد يتخذ مسارا بعيدا عن القمر فنستريح من شره.

رحت أتطلع إلى وجهها الخمري وعينيها العسليتين ببريقهما الأخاذ وكأنهما مذنبان أحكما قبضتهما علي فوقعت في أسر جاذبيتها التي لا تقاوم. وبالرغم مما أشعر به من مشاعر متضاربة بين الأسى والحزن والخوف من اقتراب هذا اللص الفضائي، علاوة على أنني قد فقدت من قبل نصف جاذبيتي، لكنني استعدتها بفضل هذه الأنوثة الطاغية أمامي، فأفرجت عن ابتسامة وكأنني أسألها. من أنت؟، لكنها لم تمهلني فأسرعت تقدم نفسها لي:

أرجو المعذرة. اسمي لونا.. لونا شادي باحثة بمركز أبحاث القمر، ومهتمة بموضوع المذنب «صائد الأقمار» كما تسميه..

لونا، اسم جميل يعني القمر.. سعيد جدا باهتمامك بهذا الأمر يا لونا، وأرجو أن يؤدي تعاوننا إلى نتائج إيجابية.

لم تعبأ بتحيتي وأسرعت تقول:

كل علماء الدنيا لا يلقون اهتماما بهذا المذنب ويعتبرون حضوره شيئا عابرا أو ربما مصطنعا، بل إن البعض ينظرون إلى الأمر على أنه ضجة إعلامية

الغرض منها تسليط الأضواء على مروجها «يقصدون حضرتك بالطبع»، وبالرغم أنني لا أتفق معهم فقد تابعت كل ما كتبته عن هذا الموضوع وأحسست أنك تعطي صائد الأقمار هذا أهمية أكثر من اللازم وكأن هناك ثأرا شخصيا بينك وبينه.

نظرت لها بوجه جامد وعينين ثابتتين تحاول اكتشافها أكثر، فأطرقت في خجل:

معذرة.. لا أقصد التهوين من الأمر، لكنني وددت أن نضع الحدث في سياقه الطبيعي بلا تهويل أو تهوين.

وكأن الطبيعة وهبت لمركز أبحاث القمر الذي نعمل به كتلة من الحياة تتحرك بحيوية وتتحدث بطلاقة، لا تستقر على حال.. فهي الآن تتحدث معي وفي لحظة أجدها أمام إحدى الشاشات تستقبل معلومة أو تضيف استنتاجا أو تقوم بفحص عينة جلبتها إحدى المركبات، ثم تعود لتكمل حديثها معي:

بالطبع الأمر لك في النهاية فأنت عالم كبير وكاتب مرموق، وأنا مازلت باحثة في بداية الطريق.

رحت أغوص في عينيها العميقتين وأنا أنتزع من روحي الغائمة ابتسامة كي أطمئنها:

هل يمكن للباحثة الصغيرة أن تقبل دعوتي على فنجان من القهوة في الكافيتريا لأفسر لها بالتفصيل مخاوفي.

على الرحب والسعة.

قالتها في براءة وانطلقنا معا إلى الكافيتريا.

فتاة رائعة تذكرني بالإلهة سيلين إلهة القمر في الأساطير اليونانية التي نزلت من السماء فالتقت بأنديميون فأحبته. ثم تركته وعادت إلى القمر وقد سحر بها أنديميون وظل نائما حتى يلتقي بها في أحلامه.. منذ رأيتها لأول مرة وكأنني في حلم، لحديثها جاذبية ولصوتها عذوبة ولأنفاسها طراوة ولنظراتها سحر جعلني لأول مرة أطمئن لهذا المذنب اللص الذي جمعني بهذه الساحرة.

بدأت حديثي معها بقولي:

حتى زاوية الميل التي حدثتيني عنها معمول حسابها، فلست أنا من يغفل شيئا كهذا، ومع ذلك أنت أثرت نقطة في غاية الأهمية فالتأثير على زاوية الميل بالزيادة أو النقصان قد يكون لها تأثيرها في المستقبل.

ابتسمت لونا في سعادة واعتبرت هذا ثناء وراحت تقول:

يسعدني أن أحصل على اهتمام ولو بسيط من العالم والمفكر الشهير د. صبري فؤاد. ويسعدني أكثر لو قبلني للعمل معه.

لو لم تطلبي أنت ذلك لطلبته منك. بالفعل أنا بحاجة إلى باحثة نشيطة وكفء مثلك.

ضحكت في براءة وقد احمر وجهها خجلا فبدت كالقمر وهو يتوارى خلف غلالة رقيقة بينما كنت أبحث في عينيها عن ذلك المذنب اللص وأستشعر قدومه في كل لحظة.

(٤)

عقدت عشرات المؤتمرات واللقاءات الصحفية التي لم يكن لها سوى حديث وحيد بطله صائد الأقمار، وتباينت الآراء والأفكار من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار كل حسب هواه ومبتغاه، فمنهم من قال إن صائد الأقمار ما هو إلا سفينة فضائية عملاقة مرسلة من كوكب مجهول يقع على أطراف مجرتنا بهدف تدمير كوكب الأرض، ومنهم من أفتى بأن الأمر لا يعدو عن محاولة إحدى الدول العظمى للسيطرة على العالم.

وقد حضرت جميع هذه المؤتمرات لا سيما ذلك المؤتمر الذي أعد خصيصا للتعامل مع الحدث بعقلانية وموضوعية، فإذا به يخرج عن كل سمات العقلانية والموضوعية، وجاءت جلستي مع الأسف بجوار البروفيسور

المصري العالمي هارون شكران، وهو في نفس الوقت جاري في السكن، كنا قديما أصدقاء، لكن فجأة نمت بيننا شحناء لا أدري لها سببا.

فالبروفسور الكبير اعتاد أن يخرج علينا بحلول معلبة ومستوردة من الخارج حيث يعيش منذ فترة شبابه، أليس هو صاحب الاقتراح الشهير بعدم جدوى الكفاح والمقاومة من أجل تحرير الأرض المغتصبة، في ظل نظام العولمة، وبعد أن أصبح العالم قرية صغيرة، وأنه ينبغي على الشعوب التي تنادي بالاستقلال والحرية أن تتخلى عن أفكارها التحررية وتنصهر مع الحضارات الأخرى فلماذا القتال وإزهاق الأرواح من أجل وطن والأرض كلها وطن للجميع.

وها هو اليوم يخرج علينا بنظرية جديدة، فقد انبرى رافعا يده طالبا الكلمة وراح يدلي بفكرته الجهنمية:

أيها السادة. حقيقة أنا أرى أنكم تحملون الأمور أكثر مما ينبغي وتشغلون رؤوسكم بتلك الكتلة الصخرية الضخمة المسماة بالقمر، فليذهب القمر إلى الجحيم ودعونا نفكر الآن في قمر جديد نصنعه بأيدينا، قمر لا يغيب عنا ليل نهار ينير أرضنا صباح مساء ويقوم بكافة الأعمال التي كان يقوم بها القمر القديم، بل ونخزن فيه أعمالا أخرى ينبغي القيام بها تبعا لمتغيرات العصر القادم.

وراح البروفسور ينحني وسط تصفيق هادر ثم جلس مزهوا باقتراحه، وجاء دوري في الكلام فنظرت إليه وانتظرت حتى ينتهي التصفيق وبدأت كلمتي قائلا:

منذ سنوات وقفت بينكم هنا مناديا بحق كل دولة في الدفاع عن أراضيها، واليوم أتحدث في نفس الموضوع ولكن بشكل آخر فلا فرق عندي بين وطن وقمر، فكلاهما يستحقان الدفاع عنه والتضحية من أجله ومحاربة المغتصب أيا كان. ومهما بلغت التكنولوجيا من تقدم ورقي فلن تستطيع استبدال الأصل بالمصطنع. فهذا القمر من حقنا جميعا، بل من حق جميع الكائنات التي تحيا على وجه هذه الأرض من الآن إلى أبد الدهر..

أنهيت كلمتي وسط ذهول الحاضرين الذين راحوا ينظرون لي وكأن على رؤوسهم الطير، وأنا في طريقي إلى باب القاعة مررت بالدكتور هارون شكران اقتربت منه وهمست:

حقيقة يا دكتور أفكارك تصلح لكل زمان ومكان أهنئك عليها، أحمد الله أن هذه الأفكار لا تخرج عن حيز القاعات والمؤتمرات وإلا حلت بنا الكوارث.

ثم تركته ومشيت بينما كان يسدد لي نظرات الحنق والغيظ..

لحقت بي لونا على باب مقر المؤتمر وهي تبتسم مداعبة:

هل يمكن لي أن أنول شرف اصطحاب العالم الكبير صبري فؤاد.

بكل سرور.

ركبت وهي تعقب:

بصراحة. لم أشأ أن أعود في المروحية الخاصة بالمؤتمر بالرغم من أنها ستنقلني من شرم الشيخ إلى القاهرة في نصف ساعة تقريبا، فلك أن تتصور أن أقضي نصف ساعة كاملة مع هذه العقليات التي كانت تتحدث بحماس الغائب عن الوعي.

لم أرد فقد كنت مهموما بما دار داخل القاعة، قرأت ما على وجهي فصاحت:

لا تلق بالا لهذا المخرف بائع الأوطان، لم يكفه ما باعه من أراض ومبان لمنظمات مشبوهة حتى باع لهم نفسه من قبل، فليس غريبا عليه أن يبيع أيضا الأرض والقمر معا من أجل حفنة دولارات.

رحت أقول:

ما يحزنني ليست تصريحاته يا لونا وإنما تصفيق الحاضرين تأييدا لكلامه.

ضحكت بتهكم:

تقصد هؤلاء المنتفعين، تجده وعدهم ببعض الدولارات والمناصب، فهو دائما كعهدنا به يعد ما لا يستحق بما لا يملك.

كنت أنطلق بسرعة تناهز المائتين والخمسين متخذا الطريق العملاق الذي يربط مدينة شرم الشيخ في أقصى جنوب سيناء بالقاهرة، ولم أنتبه للسيارة السوداء التي خلفي إلا عندما حدثتني بشأنها لونا وهي تنظر إلى الشاشة التي أمامها:

دكتور. هذه السيارة خلفنا منذ تركنا المؤتمر وقد رأيتها واقفة أمام الباب الرئيسي لقاعة المؤتمرات.

ربما تكون قد تحركت خلفنا صدفة.

لكن الشاشة التي أمامي تشير إلى أنها تسير بنفس سرعتنا تقريبا وفي نفس الاتجاه وكأننا في سباق.

بالفعل السيارة خلفنا لحظة بلحظة. هل يقصدوننا حقا؟ توجد محطة للتزود بالوقود عن قرب. بالرغم من أن مؤشر الوقود كان يشير إلى أن به أكثر من النصف فقد انتحيت يمين الطريق واتجهت مباشرة إلى أحد الطلمبات وأنا أحدث العامل:

بلازما ٣٠٠١

أسرع العامل بوضع كارت داخل فتحة إمداد الوقود بالبلازما لجلبها من الفضاء الخارجي وتحويلها إلى موجات عن طريق الأقمار الصناعية..

لدهشتي فوجئت بالسيارة السوداء تدخل المحطة وتقف خلف سيارتي ويفتح بابها الأمامي ويخرج منها عملاق حليق الرأس على عينيه نظارة

ضخمة تخفي معظم وجهه راح يحدثني بصوت عميق كأنه قادم من تحت الأرض:

دكتور صبري. ممكن كلمة لو أذنت لي؟

نظرت له بريب، ثم نزلت من سيارتي واتجهت نحوه:

أنت تعرفني؟

ضحك بقوة:

من لا يعرف دكتور صبري فؤاد الكاتب والباحث العلمي الشهير؟ نار على علم. إنني أتابع بشوق بالغ كل ما تكتبه عن صائد الأقمار شيء رائع بالفعل.

أشكرك.

اقترب مني وهو ينتحي بي جانبا مخفضا صوته بلهجة شبه تحذيرية:

من الأفضل لك أن تترك موضوع صائد الأقمار نهائيا. وتذكر جيدا أن لك ابنة.. «نور» هي كل حياتك. إذا كتبت كلمة واحدة عن المذنب لن ترى ابنتك إلى الأبد. لك أن تختار بين القمر وابنتك. أرجو أن يكون هذا الموضوع سرا بيننا أنت تفهم طبعا..

لم ينتظر حتى أرد أو أستفسر عن كنههم، اتجه إلى سيارته وانطلق بها وفي لحظات غاب عن عيني، بينما وقفت أستجمع شتات نفسي المبعثرة. تهديد بترك موضوع صائد الأقمار والثمن ابنتي. انتبهت على صوت لونا خلفي:

دكتور. ماذا هناك؟ من هذا الرجل الذي كان يحدثك وماذا يريد؟

كدت أحدثها لكنني تذكرت تحذير الرجل فأمسكت عن البوح وأسرعت أقول:

لا شيء.. يحسبني صديقا قديما. يخلق من الشبه أربعين.

كنت أنطلق بسيارتي شارد اللب مشتت التركيز، عيني على الطريق دون أن تراه.. وكل لحظة أتذكر تحذير الرجل فينتفض جسدي.. ابنتي «نور».. أي مساومة هذه التي يفرضها علي هذا المجرم اللعين، وهل تبقى لحياتي قيمة لو مس ابنتي أذى إنها النور الوحيد الذي بحياتي، ما قيمة الحياة لو نفذوا تهديدهم؟ وما قيمة القمر والأرض والكواكب؟ فليأت صائد الأقمار ويلتهم كل شيء. إلا ابنتي..

ومر بي خاطر رهيب قلبني رأسا على عقب وجعلني طوال الطريق كالأعمى الأصم لا أرى ولا أسمع شيئا وكأن طنينا مزعجا راح يصفر في أذني.. وما أدراني أنهم لم يخطفوا نور بالفعل، وأن ما حدث هذا ليس سوى مقدمة لسلسلة من المساومات فأكون تحت أيديهم كقطعة العجين يفعلوا بها ما يشاءون.

دون أن أدري التقطت هاتفي وبأصابع مجنونة رحت أضغط أرقام هاتف ابنتي.. لدهشتي فشل الهاتف في تحديد مكانها، وراح يردد.. «مكان المستخدم مجهول والرقم غير متاح».

هل بالفعل الرقم غير متاح وخدمة تحديد مكان المستخدم معطلة أم أن الخاطف أغلق الهاتف حتى لا أتخذ أي إجراء.. سأتصل بخادمتها.. هاتف الخادمة مغلق أيضا.. كدت أجن، قدمي تضغط بقوة على دافع البلازما، يدي تتشبث بمقود السيارة، وحواسي كلها ليست معي.. تصرخ لونا:

دكتور صبري. مؤشر السرعة تجاوز الثلاثمائة..

لم أسمعها. السيارة تكاد تطير وهي تنهب الطريق نهبا فتهبط واديا تصعد تلا تسلك نفقا تعتلي جسرا بين جبلين. لم أجد بدا من الاتصال بأمها كأنني اتخذت القرار الأصعب. يا لها من مكالمة جافة باردة. حولت قلقي يأسا ولهفتي برودا:

آلو..

آلو.

كنت أريد أن أطمئن على نور ألم تحدثيها اليوم.

أليست معك؟

أنا في مؤتمر بجنوب سيناء.

المفروض أنك المسئول عنها خلال هذا الأسبوع يا دكتور.

علاقتنا بابنتنا لا يمكن اختصارها في نوبة أو دورة أو شيفت نتبادله.

أعتقد أنك الأولى مني بهذه النصيحة يا دكتور. هل المؤتمر أهم من ابنتك حتى تتركها وتذهب. وإذا كان ولابد فواجب عليك توفير الحماية والأمان لها طوال فترة غيابك.

أغلقت سماعة الهاتف وأنا أغلي لدرجة التجمد..

كنت أستحث السيارة على الانطلاق ولو بإمكاني أن أجعلها تطير لفعلت.. اللعنة على تكنولوجيا لا تهدئ قلقا ولا تطمئن قلبا، بالرغم من اختصارها المسافة والزمن بعد أن تم تعبيد الطريق ليختصر أكثر من ربع المسافة علاوة على ما تم إنجازه في مجال صناعة السيارات باستخدام طاقة البلازما بديلا عن البنزين، ومع ذلك فالزمن المختصر الذي قضيته في هذا القلق المميت على ابنتي كان بمثابة دهور..

انتبهت ثانية على صوت لونا:

دكتور صبري. ماذا بك؟ منذ التقيت بهذا الرجل في محطة الوقود وأنت لست على ما يرام.

لا شيء.

ترى من مصلحته إيقاف الأبحاث عن صائد الأقمار؟ من المستفيد من ضياع قمرنا الوحيد وفنائه؟

ما كادت تبدو لي معالم القاهرة بدءا من المدن الجديدة التي انشئت على طول الطريق من مدينة السويس حتى تنفست الصعداء. ونزلت لونا أمام بيتها في إحدى هذه المدن وهي تبدي قلقها علي. لكنني كنت قلقا على نور وطوال الطريق تنتابني هواجس بأنني لن أجدها في المنزل. عندما وصلت إلى منزلي لم أشأ أن أدخل سيارتي في الجراج، تركتها أمام المنزل وصعدت قافزا كالمجنون متلهفا كي أراها وأطمئن عليها فتحت الباب مناديا:

نور.. نور.

لم يأتني رد. صعدت إلى الطابق الثاني حيث غرفتها بجوار غرفتي. فتحت الغرفة لدهشتي لم أجدها في فراشها. هبطت إلى الطابق السفلي أنادي الخادمة بانفعال استيقظت وهي تفرك عينيها:

حمدا لله على سلامتك يا سيدي.

صحت:

أين نور؟

في غرفتها يا سيدي.

صرخت في وجهها وأنا أهز كتفيها لأنفض عنها النوم:

نور ليست في غرفتها.

والله يا سيدي في غرفتها ولم أتركها إلا بعد أن نامت.

جن جنوني وكدت أبطش بها:

قلت لك نور ليست في فراشها.

صعدت ثانية وهي خلفي دون أن أدري فتحت غرفتي فوجدت نور نائمة في فراشي، تذكرت الآن أنها اعتادت النوم في غرفتي أثناء غيابي حتى تطمئن. ما أن سمعت صوتي حتى استيقظت وتعلقت بي وهي تقول:

لماذا تأخرت يا بابي؟

رحت أضمها وأنا أبعد عيني عنها حتى لا ترى دموعي وعندما مدت الخادمة يدها لتأخذها كي تنام في غرفتها أصريت أن تنام معي. كنت أشعر أن أشباحا ستخرج لنا من الجدار والسقف لتخطف ابنتي من بين ذراعي. لذلك قررت ألا تغيب عن عيني لحظة واحدة..

(٥)

كنت أقف في شرفة بيتي أراقب ابنتي نور ذات الخمس سنوات وهي تلهو في الحديقة في سعادة وانطلاق غير عابئة بما يهددنا معا وتمنيت أن أكون مثلها فالكارثة قادمة لا محالة، تعس من يعلم بها ويحمل همها ويستشعر قدومها في كل لحظة، كالمحكوم عليه بالإعدام يعد أيامه بالدقائق والثواني. يموت في اليوم مئات المرات. بينما لو مات مرة واحدة لكان ذلك أهون عليه. فما أشق قسوة الموت وانتظاره وترقبه. سامحك الله يا دكتور أسامة ليتك ما أخبرتني..

خيل إلي في تلك اللحظة شبح يدنو بحذر من سور الحديقة يمشي على أطراف أصابعه، عينه على نور، يقترب، يفتح الباب ويدخل.. في لحظة خاطفة ينقض على نور يكتم أنفاسها بيده يحملها كالدمية ينطلق بها خارجا، نور تستغيث بلا جدوى. وأنا واقف بالنافذة أحاول الصراخ فلا أستطيع. أشير إليها لكن يدي تحجرت. أحاول اللحاق بها لكن قدمي تجمدت مكانها بلا حراك.

أفقت على صرخة مدوية لا أدري كيف خرجت مني فانتفضت في فراشي لأجد نور بجانبي تصيح في لهفة:

بابي. ماذا حدث؟ لماذا تصرخ هكذا؟

رحت أتطلع إلى وجهها القمري وأنا لا أصدق أن ما حدث كان مناما واستيقظت منه. ضممتها بقوة وأنا أقبلها:

لا شيء يا حبيبتي. يبدو أنه كابوس فظيع. فظيع.

صاحت بخبث بريء:

كل هذا بسبب نومك بمفردك. عندما كانت مامي تعيش معنا لم تكن تزورك هذه الكوابيس.

قالت هذا ثم تركتني مشتتا. رحت أهز رأسي يائسا محدثا نفسي:

عندما كانت مامي هنا كانت تنتابني كوابيس من نوع آخر أراها في صحوي ومنامي. كان الشجار يندلع بيننا بلا سبب وفي أي وقت فإن لم يكن بسبب الشك والغيرة فمن الملل بسبب بقائها بمفردها طوال اليوم، فإذا كنا نخشى مذنبا يأتي من السماء بين لحظة وأخرى فعلى الأرض زلازل وبراكين وعواصف تهب علينا كل حين. ومع ذلك كنت أستوعب غيرتها المفرطة وعصبيتها الدائمة، فإذا بررت تعتبر تبريري إخفاء لمعالم الجريمة، وإذا هدأتها تعد ذلك اعترافا بالجريمة. أنا في نظرها المتهم الدائم بلا نقض ولا استئناف.

ووجدتها فرصة سانحة لإعادة المياه إلى مجاريها، فوجود ابنتنا بين أب وأم سيكون مفيدا جدا خصوصا في هذه الظروف. اتصلت بها وجاءني ردها

بجفاء وغلظة:

أفندم.

هل يمكن أن نلتقي قليلا؟

لماذا؟

أمور هامة تتعلق بابنتنا لا ينبغي أن أخبرك بها عبر الهاتف.

سكتت قليلا كأنها تبحث عن وسيلة للهرب لكنها أجابت أخيرا:

لا بأس. عندي نصف ساعة من الثامنة إلى الثامنة والنصف مساء بعد غد.

هل نصف ساعة تكفي للحديث في أمر يخص حياة ابنتنا؟ كم من الوقت إذن نحتاجه للحديث عن قمر تتعلق به حياة الملايين من البشر. سرعان ما أدركت أنها لن تحفل باختفاء القمر وستعده مجرد ثرثرة علمية لن تزيد عن كونها إشاعة أو عبثا علميا.. فقررت أن أركز حديثي حول ما يتعلق بإبنتنا نور فحسب..

جاءت في الموعد تماما، فهي كالساعة لا تقدم ثانية ولا تؤخر ثانية، حيتني بإيماءة باردة ومدت يدا ثلجية مست بالكاد أطراف أصابعي:

ماذا عن نور؟

نور بخير لكنها بحاجة إلى أم.

عدت هذا اتهاما فأسرعت تقول:

أنا لم أقصر معها على الإطلاق حسب اتفاقنا منذ البداية.

أطلقت تنهيدة وأنا أعلق:

تسمين الطلاق بداية؟ أنا أقصد أن نور ينقصها أشياء كثيرة.

ما أن أنهيت جملتي حتى انفجرت في الكلام وعبثا حاولت إيقافها:

ما الذي ينقص نور يا دكتور؟ في الأسبوع الذي تأتيني فيه أكون معها بكل كياني. لا أكون لها أما فقط بل كل شيء تجدني طفلة مثلها نلهو ونلعب ونغني معا، ثم معلمة فأتابعها في عمل الواجبات لحظة بلحظة، حتى إن معلمتها أثنت على تفوقها خاصة بعد الأسبوع الذي تقضيه معي، ومدربة تقوم بتدريبها على الرياضات والهوايات المختلفة.. هل تعلم أن ابنتك حصلت على الحزام الأزرق ولم يبق بينها وبين الأسود سوى حزام واحد؟ هل تعلم أنها تكتب الشعر والقصة؟ هل حكت لك أنني اتفقت مع أحد المخرجين لكي تمثل معه في فيلمه القادم؟

انتهزت فرصة تلتقط فيها أنفاسها بعد هذه المحاضرة وقلت:

كل هذا رائع ولكن أليس من الأجدى تحقيق ذلك وهي بين أب وأم؟

تكسو وجهها سحابة غائمة تنذر بهبوب زوابع وأعاصير وصاحت بصوت رفيع حاد:

آه.. من أجل هذا تلف وتدور وتروح وتجيء.. لم يعد بالإمكان تحقيق هذا الآن. فلقد رتبت حياتي على ذلك.. أن تكون لي حياتي الخاصة واهتماماتي مثلك تماما.. وأنا سعيدة هكذا.

وهل تعتقدين أن نور سعيدة؟

لو لم تكن سعيدة فاعلم أن التقصير منك وليس مني.

سكت لأبحث عن منفذ إلى قلبها الذي صار كالحجر:

حتى لو علمت أن ابنتنا الوحيدة في خطر؟

ارتسمت على شفتيها ابتسامة باردة وراحت تقول:

أي خطر يهدد ابنتنا يا دكتور. الخطر الحقيقي في عقلك أنت.

أطرقت قليلا وأنا أبحث عن طريقة لأصف بها حجم الخطر الذي نتعرض له جميعا بداية من المذنب العملاق الذي سيقترب من الأرض ويخطف القمر والتهديد الذي تعرضت له باختطاف نور إذا واصلت أبحاثي عن هذا المذنب وأي تحقيقات أنشرها حول هذا الحدث.. وبعد أن انتهيت فوجئت بها تنفجر ضاحكة وهي تعقب:

من هذا الخاطف المهذب الذي يستأذن قبل قيامه بارتكاب الجريمة.. لو كانوا يريدون اختطاف نور لاختطفوها دون أن يخبروك. اسمع يا دكتور، أنا أعلم أنك مشغول حتى أذنيك. دائما كعهدي بك إذا أردت أن تتخلى عن دورك بالنسبة لنور فأنا على استعداد أن أقوم بهذا الدور عنك.

لم أدر ماذا أقول لها بعد أن باءت كل محاولاتي بالفشل ورحت أرد بكلمات خرجت من فمي كالرصاص:

بل أستطيع أن أكون لها أبا وأما معا وأصنع لها حياة جديدة خاصة بها تشعر فيها بالسعادة والأمان. أما بالنسبة للتهديد بخطف نور. أي إنسان سيفكر في الاقتراب منها أو إلحاق الأذى بها سأقتله قبل أن يفعلها.

ثم وقفت وأنا أقول واضعا على المنضدة بعض النقود:

معذرة يا دكتورة فقد أضعت وقتك أكثر من اللازم. أعتقد أنه بقي من الزمن المخصص للحديث عن نور عشر دقائق بإمكانك أن تحتسي فيها كوب الليمون بمفردك..

تركتها ومشيت وأنا أغلي..

عندما عدت إلى البيت بادرتني طفلتي نور بينما كانت ابتسامة تلهو على ثغرها البريء:

بابي.. مالي أراك مهموما مكدرا على غير عادتك بعد أن كنت تملأ البيت ضحكات، فلم تعد تلاعبني مثلما كنت تفعل معي.

عبثت بشعرها المسدل على جبهتها وقد سقطت دمعة ساخنة من عيني على وجهها المستدير كالقمر وقلت:

– لا شيء يا صغيرتي، بعض الأمور تشغلني قليلا وسأفرغ لك بعد الانتهاء منها.

ردت وهي ترنو بعينيها إلى وجهي لتتأكد من أن ما تراه في عيني هي حقا دموع بينما كان إبهامي يزيلها حتى لا ينكشف ضعفي أمامها:

أليس ما يشغلك هو القمر؟

كنت أظن أن هذه الأمور لم تصل إلى رأسها الصغير بعد، فآثرت أن أنأى بها بعيدا عن هذه المعضلات التي يصعب علينا نحن الكبار إيجاد حلول لها، ووجدتني أقول بعينين غير صامدتين فضحت ضعفي أمام ابنتي:

أجل يا نور سيختفي القمر سيختفي إلى الأبد. وسيختفي معه كل شيء جميل.

ردت بعدم اكتراث كأنها لا تستطيع تصديق الأمر:

سمعت هذا الكلام مرارا لكنني لا أدري كيف يمكن أن يحدث ذلك؟

جلست القرفصاء لأكون مواجها لها لعل رأسها الصغير الخالي من التعقيدات يوحي لي بما عجز عقلي عن التنبؤ به أو التفكير فيه:

نور. ما الذي يمكن أن تفعليه لو علمت أن لصا جاء ليسرق عروستك؟

أجابت سريعا وبتلقائية مدهشة:

من الذي يستطيع الاستيلاء على عروستي وأنا أضعها أسفل وسادتي.

أقصد لو كانت عروستك هذه شيئا كبيرا بحيث لا يمكن وضعه تحت الوسادة.

هرشت في رأسها مفكرة ثم قالت:

بالتأكيد أنت تقصد القمر، في هذه الحالة إذن يجب علينا أن نربط القمر بالحبال ونثبت الحبال بالأرض بقوة فلا يستطيع أحد اختطافه.

مستحيل يا نور، فالقمر بعيد بعيد، أين لنا بالحبال التي تصل بيننا وبينه خاصة وأن حبال الأرض ضعيفة واهية لم تستطع حتى أن تربط أهلها بعضهم ببعض.

عبثت بغمازة أسفل ذقنها مستغرقة في التفكير ثم صاحت :

– ليس أمامنا إذن سوى أن نسرع نحن باختطاف القمر ونضعه في مكان أمين على الأرض، فلن يجرؤ لص على الاقتراب منه وهو بين أيدينا.

ثم ضحكت وانطلقت لتلهو في الحديقة بينما كنت أفكر حقيقة فيما أوحت به الصغيرة، ولم لا؟ فالقمر لم يكن أبدا هو تلك الكتلة الصخرية الهائلة

التي تزين السماء في الليالي الصافية لنرنو إليها حالمين ونحن نفكر في الحبيب الغائب، بينما أقرب جسم فضائي منا غائب عنا وعن أحلامنا. نحن الذين أهملنا القمر بأيدينا حتى أصبح عرضة للضياع والسطو.

(٦)

أسبوع قضيته بعيدا عن مركز أبحاث الفضاء. أغلقت هواتفي وتركت منزلي وعدت إلى بيت العائلة بمدينة قليوب وأخذت معي ابنتي نور.. ياه. مرت سنوات كثيرة منذ جئت إلى هنا آخر مرة.. ربما أكثر من عشرة أعوام. بعد رحيل الوالدة وقبلها بسنتين رحل الوالد. رحمهما الله.. كنت كلما وقعت في مأزق أو ألم بي خطب ألجأ إليهما فكانا ينصحاني النصيحة الصائبة.. ويهونان علي العسير فأتبع ما قالا لي وبالفعل تحل العقد وتفك الصعوبات.. أين هما مني الآن؟ بالتأكيد لو كانا موجودين لأخبرتهما بذلك المذنب القرصان الذي يهدد القمر وبالتبعية الأرض وبالطبع سيوجهاني كعادتهما بالرغم من أنهما لم يدرسا العلوم ولم يدخلا الجامعة.

بيت ريفي صغير مكون من طابقين تحيطه أرض زراعية واسعة برزت على أطرافها بعض النخلات السامقات كجنود حامية. استقبلنا سويلم الخولي بترحاب شديد بلهجته القروية:

حمدا لله على سلامتك يا دكتور. مرحب بالهانم الصغيرة.

يقصد نور التي وقفت تنظر له ككائن خرافي هبط من السماء. بينما رحت أقول له:

لقد جئنا لنقضي بعض الوقت هنا للاستجمام يا سويلم لا نريد أي إزعاج.. ولا تشيع في القرية أننا هنا.

أمرك يا دكتور.. بإذن الله ستسر كثيرا هنا أنت والهانم الصغيرة.

صاحت نور بضجر:

هانم هانم. أنا اسمي نور وليس هانم.

يضحك سويلم وهو يعطي أوامره لبعض العمال بسرعة تنظيف البيت. فخرجنا أنا ونور لنتأمل المكان. كانت طفلتي تنظر باستغراب إلى كل شيء حولها، فلم تعتد هذا الاتساع الرهيب والفراغ اللامتناهي حيث تختلط نهايات البساط الأخضر ببدايات الشفق الأرجواني والشمس تميل نحو المغيب لتفسح طريقا للقمر ليدخل ساحة السماء.. والبيوت الصغيرة المتلاصقة والفلاحون وهم ينتشرون في الحقول قانعين يعملون بهمة وهم يتبادلون النكات والضحكات لا يحملون هما لغد، غير عابئين بمن يترصد بهم في السماء البعيدة.

ووجدت من قمري الصغير ملاذا وعوضا عن قمرنا الكبير المهدد بالخطف والضياع فأشاركها اللعب، نجلس معا أمام شاشة جهاز الكمبيوتر نلهو بالساعات، ثم أتحول إلى معلم لأعوضها عن عدم ذهابها إلى المدرسة بداية من تمرينات الصباح وتحية العلم ثم أقوم بعد ذلك بشرح الدروس وتصحيح الواجبات وضرب الجرس بين الحصص حتى لا أشعرها أنها تركت المدرسة، لأصبح بعد ذلك مدربا فنمارس الألعاب الرياضية وتمارين الكاراتيه وقد استطعت في الآونة الأخيرة أن أحفظ دروس الكاراتية وتدريبات كل حزام لكي أؤديها معها، وفي المساء أصبح شهر زاد فأحكي لها الحكايات المثيرة التي تأخذها بعيدا حتى تذهب في النوم.. وقد وجدت من عملي الجديد هذا متعة حقيقية لا تعادلها إلا متعة الباحث عندما يضع يده على حقيقة علمية..

أسبوع صرت فيه إنسانا آخر أستغربه وأندهش له، أهذا هو أنا صبري فؤاد المنهمك في عمله حتى أذنيه؟ سابرا أغوار الكون باحثا عن نجم أو كوكب أو قمر؟ يتتبع بخطى حثيثة ومهارة فائقة جرما سماويا كل المعلومات التي لديه عنه أن له رأسا ضخما يستطيع ابتلاع قمر وذنبا طويلا سيعكر به جو الأرض ثم يفر بعد ذلك تاركا كوكبنا في ظلام دامس بعد أن يفوز بغنيمته من أقمار وخلافه..

وكلما دفعتني عاطفتي البحثية واستبد بي حنيني العلمي أتذكر الخطر المحدق بابنتي وتهديد الرجل لي باختطافها إذا واصلت أبحاثي حول صائد

الأقمار ألقي بعاطفتي العلمية بعيدا وأنسى عشرين عاما قضيتها في البحث والدراسة والاكتشاف..

وكلما سمعت صوتا بالخارج أنتفض كأن بي مسا وأتخيل القادم وفي يده مسدس سيوجهه نحو ابنتي..

أنتبه فجأة على جرس الباب، أتجه نحوه بحذر، تسرع الخادمة التي أحضرها سويلم لتفتح الباب أنبه عليها ألا تفتح إلا بعد التأكد من القادم. تفتح الباب وعيني على الطارق بينما يدي تتحسس مسدسي لأكون على أهبة الاستعداد. لم أصدق عيني عندما وجدت «لونا» أمامي بابتسامتها العذبة وبشرتها الخمرية وعينيها العميقتين. راحت تقول بلهجة لائمة:

لم أكن أحسب أننا سنهون عليك يا دكتور إلى هذه الدرجة؟ نحن جميعا قلقون عليك؟

رحت أنظر إليها والدهشة تسبقني بينما سؤال لحوح يفرض نفسه:

كيف عرفت أنني هنا؟

ضحكت في براءة وهي تقول بمرح:

يا دكتور أنت معك أخطر جهاز مخابرات في العالم، ثم لا تندهش ممن تبحث في أنحاء الكون عن مذنب غامض وتجمع حوله كافة المعلومات، أن تعرف مكان شخص يهمها أمره كثيرا.

تبادلنا نظرات دافئة حانية، راحت تهرب منها بخجل بينما تحايلت على ارتباكي بأن دعوتها للدخول وأنا أقدمها إلى ابنتي:

هذه ابنتي نور. أترينها. أجمل من قمر.

دخلت وهي تضمها وتقبلها وتثني على جمالها وبراءتها.. بينما شعرت في عينيها بأشياء كثيرة تريد أن تبوح بها. فقلت لنور:

هيا يا حبيبتي انتهي من الواجبات سريعا لكي نسهر الليلة مع الآنسة لونا.

أسرعت قائلة:

كان بودي، لكن ينبغي أن أعود الليلة.

ليس قبل أن تشاهدي هذه البلدة الجميلة ففي الليل تكون رائعة..

وافقت على الفور حتى ظننت أنها ستلح في البقاء إذا وافقتها على المغادرة.. سرعان ما تعلقت بها نور وظلت ممسكة بها طول اليوم لا تريد أن تفارقها ورحنا نجري ونلهو بين الحقول كالصبية حتى إذا غابت الشمس عدنا إلى البيت ودخلت نور إلى حجرتها لتنام بينما صعدنا إلى سطح البيت.. فجلسنا يصحبنا القمر الذي كانت تشوبه غلالة رقيقة فبدا حزينا واهنا كطفل صغير وقع في شرك لص خطير يتربص به..

رحت أنظر إلى القمر بأسى:

مسكين.. أراه يزوي كل ليلة ونحن جميعا نراقبه بأيد مغلولة لا نملك شيئا ولا يمكننا إنقاذه.

ردت محاولة أن تسري عني:

لا تتوقع السوء يا دكتور. ودع الأمور تسير في مسارها الطبيعي. وإذا ما وقع شيء لا قدر الله سيكون حينها لكل حادث حديث.

دون أن أدري وجدتني أثور بانفعال:

لا.. لن أسمح لأحد بأن يأخذوا قمري مني. حتى لو قتلت نفسي..

راحت تنظر لي باندهاش وهي تسأل بلهجة جادة، وقد بدت في عينيها نظرة جامدة لم أعتد أن أراها كذلك:

دكتور.. ماذا بك؟ منذ عدنا من شرم وأنت لست على عادتك. صامت، مكفهر، وأخيرا هذه الثورة والانفعال غير المبرر. هل صدر مني ما غيرك تجاهي.

بالعكس. أنت بالذات لك مكانة خاصة يا لونا وأنت تعلمين ذلك، لكن هناك أشياء داخل النفس ليس بمقدور المرء التحدث فيها أو الإفصاح عنها.

تتحدث بانفعال:

أرأيت. مازلت تضع بيننا حدودا وحواجز وسدودا. لماذا دائما تتعمد تجاهلي والتعامل معي بلا مبالاة والنظر لي بوجه غامض جامد، تماما كالوجه المظلم من القمر. فإما أنك تفهم وتعي كل شيء وتحاول أن تبدو عكس ذلك، وإما أنك لا تعي شيئا على الإطلاق.

لونا، هناك أمور خارجة عن إرادتنا هي التي تجعلنا نبدو على غير عادتنا. سواء كانت هذه الأمور تتعلق بحياتنا الشخصية أو العملية.

توقفت وهي تصيح بلا وعي:

صبري. يجب أن تعلم أنك كل حياتي. أحببت القمر لأجلك، حتى صائد الأقمار صار محور اهتمامي بسببك، البحث والاكتشاف أصبحا سمتين أساسيتين في تكويني لاقترابي منك. صبري.. إنني أحبك. أتفهم أحبك..

كنت أستمع إلى صوتها كأنه آت من أعماق الكون. واختلطت كلماتها بتحذير الدكتور أسامة الكاشف من صائد الأقمار، بالتهديد بخطف ابنتي. وانتبهت على صوتها مملوءا بالأسى وقد انتابتها موجة بكاء:

معذرة يا دكتور. يبدو أنني تجاوزت حدودي. ونسيت نفسي..

قالت ذلك وهي تتجه نحو سيارتها فأمسكت يدها:

لونا.. تأكدي أن مشاعري نحوك تفوق مشاعرك بل وتتجاوزها. لكن هناك أشياء لا نستطيع أن نغفلها أولها فارق العمر. فبيننا ما يزيد عن خمسة

عشر عاما كاملة.

أسرعت مقاطعة:

هذا الفارق لا يمثل لي إلا نضجا وخبرة سأسعد عمري كله بالانتساب إليه.

وصائد الأقمار الذي يترصدنا ويهددنا بالفناء في كل لحظة.

سنقاومه معا.

كيف؟

باكتشافه وجمع المعلومات عنه ومعرفة زمن وصوله.. إلى آخره ونحن في سبيلنا إلى ذلك..

لكن ابنتي نور تحتاج مني الرعاية والاهتمام أكثر من القمر..

ألا تسمح لي أن أشاركك في حبها وفي نفس الوقت أشاركها في حبك.

أطرقت قليلا قبل أن أقول:

أتذكرين السيارة التي كانت خلفنا ونحن في طريقنا من المؤتمر عائدين إلى القاهرة؟

نعم.

لقد هددوني بقتل نور إذا واصلت بحثي عن صائد الأقمار.

راحت تقول بصوت عميق محاولة أن تبدو أكثر ثباتا:

سوف تندهش إذا علمت أننا جميعا وصلت إلينا خطابات تهديد لنفس السبب، ومع ذلك لم نخضع ولم نستسلم.

لو كان الأمر يتعلق بحياتي أنا ما حفلت به لكن ابنتي يا لونا لا أستطيع أن أتصور أن يصيبها مكروه وأكون سببا فيه. لن أسامح نفسي طيلة عمري.

اقتربت مني وهي تمسك يدي بقوة:

لا تلق بالا لتهديداتهم، فأمام إصرارنا وحبنا لن يستطيعوا فعل أي شيء. فكل ما يهمهم أن تتوقف أبحاثنا فيتخذوا من صائد الأقمار مبررا لهم للسيطرة على العالم ومحو فكرة الوطن ليكون الانتماء الوحيد لهم ولأفكارهم.

رحت أؤيدها:

أجل. أعلم ذلك تماما وأعيه جيدا، فهم يريدون التخلص من قمرنا الوحيد، لإنشاء أقمار جديدة تتحكم في البيئة وفي الظروف المناخية حسب مصالحهم فيضيء بعضها على من يرضي غرورهم ويحقق مصالحهم ويظلم البعض على من لا يتفق معهم، وبالتالي يعاقبون الشعوب التي تعارضهم بالحر الشديد تارة والبرد القارس تارة ويعيشون هم وأتباعهم في ربيع دائم.

لذلك يجب أن تعود لأبحاثك ومحبيك كلنا خلفك وأنا بجانبك. سنقاومهم ونكشف مخططاتهم للعالم أجمع. فلقد اعتمدنا على التصورات التي قمت بوضعها وأولى المعلومات التي توصلنا إليها أن صائد الأقمار سيصل في غضون أسابيع قليلة ويجب أن نستعد له.

(٧)

إذا فقدت جاذبيتك فاصنع لنفسك جاذبية جديدة تستعيد بها جاذبيتك المفقودة.. هكذا كانت «لونا»، فوجودها بجانبي وتعلقها بي جعلني أتمسك بالأمل وفجرت بداخلي إرادة وقوة كنت قد فقدتهما مع جاذبيتي.. أستطيع بها أن أواجه أي خطر قادم وحتى ولو كان صائد الأقمار الذي يهدد قمرنا الوحيد وبالتبعية كوكبنا الأرض.

وتكرر لقائي بلونا سواء بالمركز أو خارجه وكأنني استعدت بوجودها معي بالإضافة لجاذبيتي عمرا كان قد انصرم دون أن أحس به فاختصرت خمسة عشر عاما هي الفارق بيننا فعدت شابا يافعا في بداية الثلاثينيات أرتاد الملاهي والمقاهي ينبض قلبه لأغنية حالمة أو لموسيقى ناعمة، أترقب حضورها بصبر نافد وإذا غابت لا يهدأ لي طرف، أظل أروح وأجيء كالمجنون وأطلب هاتفها عشرات المرات. وصار البحث عن صائد الأقمار متعة لا تعادلها متعة، وبدلا ما كنت أبحث عنه بقلب واجف ونفس كارهة

مشمئزة صرت أراقبه بشوق وقد ارتبط ظهوره على الشاشة وحركته في الفضاء ومساره في اتجاه القمر وسرعته وذيله الطويل بضحكاتها وخفة ظلها ومداعبتها.. ولأول مرة أكتشف في وجود لونا بجانبي أنني استعدت وزني.

كنت أشعر دائما أن هناك عشرات العيون تراقبني وترصد حركتي وتحصي خطواتي وكلما أسررت بمخاوفي للونا كانت ترد مطمئنة:

لا تشغل بالك يا حبيبي، ليس بأيديهم فعل شيء، كل ما يريدونه هو أن ننصرف عن التفكير في صائد الأقمار لتنفيذ مخططاتهم بإنشاء أقمار بديلة، حتى بت أشك أن صائد الأقمار نفسه من اختراعهم..

ذات صباح استيقظ الناس في كل مكان على نقطة داكنة قميئة خرجت إليهم لتشوه وجه السماء وتتحرك في اتجاه القمر.. تنتظر أن تغفل عيوننا عنه لتنقض عليه ملتهمة إياه.

لم تكن هذه النقطة سوى المذنب اللص «صائد الأقمار»..

بالرغم من أنني كنت متوقعا ظهوره منذ فترة طويلة خاصة بعد تحذير الدكتور أسامة الكاشف، فقد أذهلني الحدث مثلما أذهل الجميع وصرت مثلهم أترقب كارثة اختطاف القمر كالأمر الواقع الذي لابد منه وبات حديث الناس في كل مكان «ماذا بعد اختفاء القمر؟» حتى إننا صرنا نستقبل هلاله مثلما نودع محاقه، بالدموع والحسرات وضرب الأكف ولطم

الخدود والتهليل والتكبير كعزيز حكم عليه بالإعدام، ونظل نتساءل في كل مرة يظهر فيها هل ستكون المرة الأخيرة التي يطل فيها علينا؟ وعند محاقه يصبح السؤال ترى سيظهر ثانية أم أنه أفول بلا عودة. فتذبح الذبائح في كل مكان لقمر قد يذهب ولا يعود..

لم يعد الأمر بمقدورنا نحن أهل الأرض، فقد كانت الضرورة تدفعنا بإلحاح الغريق الباحث عن قشة للنجاة إلى أحد مصيرين، إما وضع الأيدي على الخدود وندب الحظ والنصيب في انتظار الكارثة الآتية لتجرفنا جميعا رغما عنا في تيارها الهادر الذي لا يعرف الهوادة أو اللين لتأكلنا الحسرة ويمضغنا الندم. أو أن نقاوم المستحيل ممثلا في هذا المذنب المارق الخارج عن قوانين الطبيعة ونواميس الكون بما لدينا من عقول وإمكانيات محدودة حقا حتى لو هلكنا فحسبنا أننا هلكنا ونحن نقاوم.

أما أصحاب الفريق الثاني بزعامة البروفيسور الشهير هارون شكران فقد تبنى شعار «فليذهب قمر، ونأتي بألف قمر».. ألف قمر تدور حول الأرض بديلا عن قمرنا الوحيد الذي لا يعدو عن كتلة صخرية عديمة الفائدة تضر ولا تنفع. كل ما يمكن أن نفعله هو تقليل صدمة اختطاف القمر من حدوث هزات أرضية عنيفة وثوران بعض البراكين وانتشار تسونامي في أكثر من مكان، فقد أعددنا عددا من الرؤوس النووية ستطلق في اتجاه القمر في نفس لحظة اختطافه لتتلقى صدمة تخلص القمر من أسر جاذبية الأرض وفي نفس اللحظة تعمل الأقمار التي تدور حول الأرض

لتقوم بنفس الدور الذي كان يقوم به القمر إضافة إلى بعض المهام الأخرى التي ستعود بالفائدة على سكان الأرض جميعا.

(٨)

«المركز الإقليمي لأبحاث القمر»، أنشئ حديثا بمدينة حلايب على ساحل البحر الأحمر، بعدما أثير من ضجة حول زيارة المذنب العملاق المرتقبة إلى الأرض وعزمه اختطاف القمر. وفي أعقاب الحملة التي أطلقها «أعداء القمر»، كما أطلقنا عليهم بزعامة البروفسور هارون شكران وقد بدأوا بالفعل في تدشين المراحل الأولى للأقمار الجديدة التي ستعمل بديلا عن قمرنا المنبوذ. وفي مؤتمر صحفي عرضه خصيصا للإعلان عن مشروعه الضخم وبدعم من عدد من المنظمات والهيئات الدولية راح يدلي بالفوائد التي ستعود على البشر من هذه المجموعة من الأقمار التي ستحل محل قمر قديم بال ذي وجهين أحدهما مظلم لا نرى منه شيئا:

لا فائدة ترجى من قمر كسول كل ما يفعله هو أن يشرق علينا كل ليلة بشكل مختلف بداية من هلال ناتئ صغير لمحاق متآكل لقمر مكتمل عمره ليلة واحدة أو ليلتان ويبدأ في التناقص التدريجي ليصل إلى محاق مضمحل وهلال ذاو ثم يختفي.. أما الآن فسيكون لدينا عدد كبير من الأقمار ستدور

باستمرار حول الأرض ولا تختفي أبدا.. ولكل قمر منها وظيفة محددة.. قمر مسئول عن تحقيق ظاهرة المد والجزر بحيث تتم بصورة أوتوماتيكية يمكن التحكم فيها من أعلى حسب احتياجاتنا، قمر آخر للإضاءة سيأخذ الضوء من الشمس ويعكسه على الأرض، قمر ثالث للتدفئة يمنح الدفء في ربوع كوكبنا حسب الحاجة، وقمر رابع للتبريد لتخفيف وطأة الحر على الدول الصحراوية والتي تقع على خط الاستواء..

كنت أستمع إليه كمن يستمع إلى هراء ممسوس دفعه غروره العلمي إلى تصور المستحيل فطاش صوابه. شعرت أنه هبط في لحظة من تألق العالم ووقاره ودأبه على البحث في أسرار الكون إلى تاجر مانيفاتورة يعرض على الناس بضاعته ممزوجة بالأكاذيب..

انطلقت بسيارتي بأقصى سرعة متجها إلى حلايب حيث مركز أبحاث القمر الذي يرأسه الدكتور أسامة الكاشف وقد اختارني لأكون مستشاره العلمي. الهدف الرئيسي لهذا المركز هو حماية قمرنا الوحيد والتمسك به والدفاع عنه وعدم السماح لأي جرم سماوي باقتناصه وأسره. وسرعان ما أصبح لهذا المركز فروع في كل أنحاء العالم تعمل معا في نفس الوقت على أجهزة حاسوب متقدمة تتصل معا عن طريق الأقمار الصناعية يتم مدها باستمرار بكل ما هو جديد مع تحديث المعلومات أولا بأول.

استقللت المصعد الإليكتروني للمركز فنقلني في ثوان إلى الطابق الثامن والعشرين لينفتح على قاعة واسعة اصطفت بها شاشات عملاقة لا تحيد

عيونها عن القمر.. بينما على يسار الشاشة ترتبت معلومات عن تابعنا الوحيد.. غلافه، جوه، سطحه، تربته، أهم العناصر المتوفرة به. بينما تربصت شاشة أخرى بالمذنب اللص، صائد الأقمار. تجمع عنه كل ما يتوفر من معلومات أولا باول..

كنت أراقبه بعين وجلة ناقمة تفكر في الطريقة التي يمكن بها مواجهة هذا القرصان الكوني الخطير الذي اعتاد منذ مولده جمع الأقمار وفتات الكواكب. يجوب الكون بحمله الثقيل كتنين له رأس ضخم وذيل طويل.

فجأة. انتبهت على صوت عميق يتحدث خلفي:

صار قريبا جدا من مجموعتنا الشمسية وخلال أيام سيصل.

التفت إلى مصدر الصوت لأجد أمامي الرجل العملاق ذا الرأس الأصلع ينظر لي بعينين زرقاوين ملؤها التحدي والانتقام، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ارتعد لها جسدي:

أرجو أن تكون بخير دكتور صبري. كم أنا مشفق عليك من هذا اللص الكوني سارق الأقمار. سوف نلتقي قريبا جدا. سلامي إلى الإبنة العزيزة «نور»..

قال ذلك ثم اتجه بسرعة نحو المصعد واختفى داخله. شعرت أن الدنيا تدور بي كأنه سيغمى علي. رحت ألقي بجسدي على أقرب مقعد. لاحظت

لونا ما بي من إرهاق فأسرعت إلي:

د. صبري. ماذا بك؟

لا شيء. بعض الدوار.

يمكنك أن تذهب فنحن موجودون وسنوافيك بكل جديد.

أصبحت أفضل الآن..

كان عقلي مشغولا بنور. ماذا لو وصلوا إليها الآن ونفذوا جريمتهم البشعة هؤلاء الأوغاد؟.. رحت أبعد عن تفكيري هذا التصور مطمئنا نفسي بأن نور في مكان آمن، لن يصلوا إليها مهما فعلوا.. في بيت العائلة القديم الذي لا يعرفه أحد، بين أناس لا يمكن للغريب أن يتسلل بينهم سيفتكون به إذا فكر في الاقتراب.

لكن لم تمض غير دقائق قليلة حتى جاءني اتصال هاتفي من زوجتي السابقة.. كانت تتحدث بانهيار تسأل عن نور بلهفة:

أين نور يا صبري؟

إهدأي.. نور بخير..

لقد علمت الآن أنه قد تم تفجير منزلنا. قلت لك مرارا دعها لي وأنا أعرف كيف أحميها..

سكت قليلا.. فقد بدأوا بالفعل في تنفيذ تهديداتهم.. لكنني قلت لها:

لن تحميها مثلي..

أسرعت متوجها إلى مكتب الدكتور أسامة الكاشف.. عندما دخلت عليه لم أجد ذلك الصديق الذي أعرفه من زمن، المبتسم دائما. وكثيرا ما استقبلني بدعابة أو طرفة أو مزحة.. أما الآن فهو قابع أمام جهاز الكمبيوتر، بل يخيل إلي أنه بداخله وقد تهدل شعره الأشيب خلفه وبرزت لحيته البيضاء النافرة. عينه تجوب مساحات شاسعة من الظلمة غير دائرة فضية تحيطها غمامة، وجسم دودي مراوغ متربص يقف عن كثب، وبعض الثقوب المضيئة المنتشرة هنا وهناك وكأنها عيون عابثة تتلهى بمراقبة حادث سرقة سيتم في وضح النهار معروف جيدا موعده والقائم به.

دخلت وتنحنحت وجلست دون أن يبدو عليه أنه شعر بوجودي.. رفعت صوتي لتنبيهه، أو لأطمئن نفسي أنه لا يزال على قيد الحياة:

سيطلقون مزيدا من الأقمار اليوم أيضا..

رد دون أن يلتفت إلي:

دعهم، فهم كمن يحرثون في بحر، أو يصرخون في واد، أو ينفخون في قربة مقطوعة. كل هذه الأقمار وغيرها ستضيع في الفضاء لتكون هباء منثورا..

سألته مندهشا:

لماذا تقول ذلك؟

منذ قليل أعلن المركز الدولي لأبحاث الفضاء بنيويورك عن اختفاء أحد أقمار التجسس التابعة للمخابرات الأمريكية والذي يحوي بداخله معلومات دقيقة وحساسة عن بعض الدول ونوع الأسلحة التي في حوزة كل دولة وأماكنها وبيان بأعداد المقاتلين بها وخطط الدفاع والهجوم التي تتبناها.. اختفاء هذا القمر يعد تطورا خطيرا فسرعان ما وجهت وزارة الدفاع الأمريكية أصابع الاتهام نحو دولة بعينها لكن لم تسمها صراحة للحفاظ على سرية المعلومات. وان الرد سيأتي في الوقت المناسب..

تساءلت في دهشة:

من بمقدوره سرقة قمر تجسس أمريكي أو حتى اختراقه في هذا التوقيت بالذات؟

هناك احتمالان لا ثالث لهما. إما أن هناك من يحاول الوقيعة بين الدول العظمى لجر العالم إلى حرب عالمية جديدة، أو أننا قد دخلنا بالفعل في مجال جذب صائد القمار. وبدأ في اصطياد الأجسام القريبة التي تدور حول الأرض ومنها الأقمار الصناعية.

لو حدث هذا ستكون كارثة لا يعلم مداها إلا الله. فحياتنا كلها مرتبطة بالأقمار الصناعية، بداية من قيادة السيارات التي تعتمد على الأقمار الصناعية في مدها بطاقة البلازما المتوفرة في الفضاء الخارجي، إلى الهواتف المحمولة والإنترنت وآلات الصرافة. حتى المزارع والبنوك ستتوقف. معنى هذا أن نعود إلى عصور ما قبل التاريخ..

لم أكمل جملتي حتى أعلنت إحدى محطات البث الإذاعي الإليكترونية من جهاز الحاسوب الذي أمام أسامة الكاشف أن المخابرات الروسية أعلنت منذ قليل عن اختفاء قمر صناعي تابع لها واتهمت بدورها الولايات المتحدة بسرقته..

وحبس الناس أنفاسهم في كل مكان مع تصاعد لهجة التهديد والوعيد من كل اتجاه وبدا أن العالم يعيش أجواء حرب عالمية جديدة ستأتي على الأخضر واليابس وتقتل الملايين.

(٩)

يا لها من نقطة قاتمة كئود تلك التي ترافق القمر أينما ذهب، لم نعد بحاجة إلى تليسكوبات دقيقة لمراقبتها ولا لمجاهر إليكترونية للتعرف عليها، أصبحت الآن واضحة للعيان، كل من يريد أن يراها ما عليه سوى أن يرفع عينيه إلى السماء.

ومع اقترابها توالت الأنباء عن اختفاء أقمار أخرى. فقد أعلن في خبر عاجل لوكالة الأنباء الفرنسية عن اختفاء عدد من أقمار الاتصالات دفعة واحدة. ليتوقف الإرسال التليفزيوني المتصل بهذا القمر، وفي نفس اليوم أعلنت وكالة أنباء الأناضول عن اختفاء القمر التركي. ومع الساعات

الأولى من الصباح التالي كان قد اختفى القمر الياباني ثم الصيني والأسباني .. ثم اختفى القمران المصري والإسرائيلي في لحظة واحدة. حتى أصبح اختفاء الأقمار الصناعية ظاهرة غريبة فريدة من نوعها، فمع اختفاء كل قمر يختفي معلم من معالم الحضارة الحديثة على كوكب الأرض. فيحدث شلل تام في مهمة من المهام التي يقوم بها هذا القمر من إظلام كامل لإحدى المدن الكبرى إلى قطع الاتصالات الهاتفية لمدينة أخرى. إلى توقف أجهزة المحمول والحاسوب لمدينة ثالثة وهكذا..

حاولت الاتصال بلونا مرارا دون جدوى، فقد كان من المقرر أن نلتقي اليوم لنذهب معا إلى مركز أبحاث القمر بمدينة حلايب كالمعتاد لكنها لم تأت وتوقفت أجهزة الاتصال عن العمل تماما.. وعندما يئست من مجيئها قررت الذهاب بمفردي..

كنت أنطلق بسيارتي متجها إلى مدينة حلايب فجأة توقفت السيارة عن العمل نظرت إلى مؤشر البلازما الذي يبين مستوى الوقود الذي يتم الحصول عليه من الفضاء عن طريق القمر الصناعي فوجدته متوقفا تماما. نزلت من السيارة وقد ظننت أن بها عطلا. حمدت الله أن وجدت بعض الوقود الأرضي في جركن قديم.. قمت بتحويل موتور السيارة ليعمل بالبنزين بدلا من البلازما.. عندما بدأت أتحرك لاحظت من بعيد بعض السحاب الكثيف وهو ينطلق بسرعة ملحوظة كقطيع من الخراف يطير في السماء، أو بقطع ضخمة من القطن تسبح في الفضاء، وتذكرت في طفولتي

عندما كان والدي يأخذني إلى قريتنا وأشاهد تلك الظاهرة فأشعر بسعادة بالغة..

أوقفت محرك السيارة فجأة إذ سمعت صوتا كالرعد يأتي من السماء. السحاب يتحرك بسرعة رهيبة غير عادية كأنه يفسح المكان لشيء ما.. شيء غامض يشق طريقه دون أن تبدو ملامحه. ومن خلف السحب كانت أشعة الشمس تظهر تارة وتختفي تارة، فأيقنت أن السماء ستمطر بالرغم من شدة الحر في ذلك اليوم الصيفي القائظ، فدلفت مسرعا إلى سيارتي وقبل أن أدير محركها وجدت شيئا عجيبا يظهر وسط السماء. كانت سحابة سوداء عظيمة تمتد بعرض السماء حتى إنها حجبت ضوء الشمس تماما.

• • •

راحت الشاشات الخلوية تومض في الفراغ المحيط بي لتعلن عن دخول جسم غريب الغلاف الجوي لكوكب الأرض مختفيا وراء سحابة سوداء غامضة، وبدأ الجسم الغريب يشوش على الإرسال وأجهزة الاتصال ولا أحد يجد تفسيرا لهذه الظاهرة.

إثر انتشار الخبر سادت حالة من الرعب، فأخليت الشوارع تماما من المارة إلا الشارع الذي يقع فيه مبنى أبحاث القمر، فقد تزاحم أمامه لفيف

من الباحثين والعلماء والأهالي الذين استبد بهم الخوف فهرعوا إلى هناك ليستطلعوا أمر تلك السحابة الغامضة التي ظهرت فجأة في السماء دون سابق إنذار، وتركت في أذهان الناس العديد من علامات الاستفهام. أولها هل لهذه السحابة علاقة بصائد الأقمار؟

أما الشيء الآخر الذي أثار ذهولي وارتيابي أني وجدت بعض الأشياء تتطاير في الهواء أجسام وحيوانات وصخور، حتى أنا أثناء قيادتي السيارة شعرت أنها تكاد تترك الأرض وتحلق في الهواء لذلك راعيت أن أخفض من سرعتي قدر الإمكان.. بعد ذلك انتبهت على أغرب خبر جاء عبر مذياع السيارة من موجة بعيدة محاطة بتشويش لا تزال تعمل بالرغم من توقف كل محطات البث.. فقد أعلن مجموعة من العلماء أن كوكب الأرض قد فقد جزءا من جاذبيته..

(١٠)

من مكان ما على الأرض انطلق ضوء لامع مرق وسط الظلام واستقر في مركز السحابة بعده بقليل انطلق ضوء ثان واستقر بجانبه، وبعد بضعة دقائق لحق بهما ضوء ثالث. لم تكن هذه الأضواء سوى صواريخ لتفتيت السحابة وما تحتويه من أبخرة وأجسام صلبة، وكذلك للحصول على بعض عينات منها لدراسة مكوناتها وتحليلها.

نظرت إلى ساعتي الفوسفورية المضيئة فوجدتها تشير إلى العاشرة صباحا، ولكنه أي صباح هذا والظلام الدامس يعم أرجاء الأرض. يجب أن أكون في المركز حالا، لابد من مقابلة البروفسور أسامة الكاشف بمركز أبحاث القمر. إنني بحاجة إلى أي معلومات أمكن الحصول عليها حول هذه السحابة القميئة المسلطة علينا.

ثلاثة أيام لم تظهر فيها شمس، يعيشها الناس في ظلام دامس، باتوا ينتظرون مصيرا مجهولا، أهي القيامة؟ أم زوار من الفضاء الخارجي يطرقون الباب بقسوة وعنف شديدين، أم أن عابثا امتدت يده إلى المخزون النووي في مكان ما من العالم وانتزع الفتيل، وما هذه السحابة سوى البداية فقط وبعدها تأتي التداعيات. أم أنه صائد الأقمار المتربص قد بدأ في اقتناص القمر فأعجبته الأرض وبدأ يلف حولها ذيله الرهيب ليبعدها عن جاذبية الشمس..

كل هذه الأفكار وغيرها كانت تراودني أثناء توجهي إلى المركز لمقابلة أسامة الكاشف، بينما عيناي تراقبان الناس في الطرقات وقد بدوا كالأشباح وسط الظلام الكثيف الذي يفرض نفسه في طغيان آثم على البشرية. عيونهم معلقة بالسماء، على وجوههم آثار فزع ورعب، أفواههم مفتوحة كالكهوف التي تنذر بانهيار جبل عظيم، وبين حين وآخر تسمع صراخا هستيريا في مكان، ومن مكان آخر تتردد تمتمات وتسابيح وأدعية قلما كنت تسمعها قبل ذلك:

إنه غضب من الله لا جدال في هذا. ماذا كنتم تنتظرون بعد الفجور والفساد الذي تفشى بين الناس.

اللهم غفرانك. غفرانك.

أي مصير ينتظرنا؟

ما أسوأ انتظار الموت وأنت تتوقعه في كل لحظة.

توقف بي المصعد عند الطابق الثامن والعشرين. انطلقت مسرعا عبر ممر طويل تجاه قاعة الأبحاث المركزية حيث يوجد البروفيسور أسامة الكاشف، وتذكرت تحذيره الأول لي من لص الأقمار العتيد الذي ينوي سرقة قمرنا الوحيد كما سرق أقمارا عديدة من قبل، ها هي نبوءته قد تحققت ماثلة أمامنا في سحابة مسلطة فوق رؤوسنا تحمل لنا الرعب والفزع والخوف.

طرقت الباب برفق ليأتيني صوت البروفيسور عميقا تشوبه لهجة حزينة:

أدخل يا صبري.

دخلت مسرعا لتطالعني القاعة الواسعة بما تحويه من أجهزة وشاشات ووسائل اتصال، كان أسامة منكبا على جهاز متصل بشاشة تليفزيونية كبيرة ويضغط على مجموعة أزرار أمامه فتظهر خطوطا متعرجة على الشاشة يتبعها تشويش. كانت علامات الجد بادية على وجهه الأبيض المائل للاحمرار. وراح يحدثني دون أن ينظر إلي:

ما رأيك يا صبري؟

أطلقت زفرة حارة لعلها تدفئ الطقس البارد الذي يحيط بنا وأنا أعقب:

الأمر جد خطير. السحابة الآثمة حجبت ضوء الشمس عن الأرض وجعلتنا نعيش في ظلام دامس لليوم الخامس على التوالي، هذا غير البرد القارس الذي شمل المدينة كلها ومدنا أخرى امتدت إليها السحابة.

سكت قليلا ثم سألته:

بالتأكيد صائد الأقمار هو السبب فيما يجري على الأرض أرسل إلينا هذه السحابة. ليجعلنا نعيش في ظلام دامس يكون هو قد اختطف القمر وفر هاربا في أنحاء الكون..

ليس هناك أي دليل عن علاقة السحابة بصائد الأقمار.

أليست هناك أية معلومات عن تلك السحابة. مكوناتها، تركيبها الكيميائي، ما بها مواد عضوية، كائنات حية أولية؟

أجاب أسامة الكاشف بيأس :

للأسف المعلومات التي لدينا قليلة. لقد استطعنا بعد جهد جهيد الحصول على عينة من تلك السحابة وبعد تحليلها وإجراء عمليات التقطير والتكثيف والبلورة تبين أنها مكونة من أحد نظائر الكربون المشع، له تأثير على الأفلام الفوتوغرافية، أما سائلها فأسود اللون كريه الرائحة، قمنا بحقن قطرة منه لأحد فئران التجارب تصور ماذا كانت النتيجة؟

سكت منصتا باهتمام إلى حديث البروفيسور:

– مات الفأر بعد ساعات، لكن قبل موته كان سلوكه مريبا، سرعان ما اكتسب اتجاها عدوانيا نحو أقرانه، أصبح في حالة هياج، ثم انكمش في ركن من القفص ومات.. إننا أمام لغز محير يا صبري.

مازلت مطرقا أفكر حتى نطق البروفيسور :

لقد بدأت أشعر باليأس. إن علمي محدود فيما أعرفه ، أما ما يتعدى حدود معرفتي فأنا جاهل بالنسبة له.

خرج مسرعا، أما أنا فنكست رأسي في حزن ورحت أتأمل أنبوبة السائل التي بها عينة السحابة كأني أسألها:

أية كارثة تخفيها داخلك أيتها السحابة القميئة؟

ثم أسندت رأسي على حائل زجاجي وتركت دموعي تنساب في هدوء فوقه، بينما أنفاسي تتلاحق كأنها بركان ينفث حممه المتأججة.. فجأة استرعى انتباهي شيء.. شيء على الحائل الزجاجي، قطرات ضبابية تكونت فوق الزجاج إنها صادرة من تكثف زفيري بلا شك. القطرات ذات لون أسود. اقترب من الحائل نفخت بكل قوته. صدق حدسي. سحابة ضبابية سوداء تكونت من أنفاسي فوق الحائل الزجاجي.

أسرعت أنادي بلا وعي:

دكتور أسامة. يا بروفيسور. لقد اكتشفت سر السحابة. اكتشفتها. اكتشفتها.

• • •

(١١)

ظهرت أخبار المساء على شاشات الانترنت الخلوية المنتشرة في كل مكان والتي تعرف بشبكة انترنت الأشياء حيث تترابط معا في نظام محكم، وحمد الله أنها مازالت تعمل بالرغم من الفوضى التي أصابت جميع الأنظمة.. وقرأ على واجهتها بالبنط العريض:

«اكتشاف حقيقة كونية خطيرة. الصحفي صبري فؤاد يضع يديه على حقيقة السحابة السوداء.»

أسفل العناوين:

«لقد عرفت سر السحابة الغامضة، عرفت مكوناتها، السحابة لا تخفي وراءها طبقا طائرا كما يزعم البعض، وليست آتية من كوكب بعيد. السحابة آتية من كوكبنا، تكونت من أنفسنا نحن البشر. نوع غريب من الطفرات جعل خلايانا تفرز أجساما غريبة عصوية الشكل. تآلفت مع خلايانا،

فحدث نوع من التعايش بينها.. لم تتمكن كرات الدم البيضاء من مهاجمة هذه الأجسام الغريبة.. هذه الأجسام لديها القدرة على مقاومة الجاذبية الأرضية. داخل كل منا نقطة سوداء داكنة مليئة بالحقد والكراهية والشر، تجمعت هذه النقاط جميعا وخرجت مع زفراتنا المتذمرة المتأججة دون أن ندري، وبدأت تخرج من أنوفنا وأفواهنا وأعيننا، حتى من مسامنا لتكون سحابة سوداء طاغية.»

راح الدكتور أسامة الكاشف يقرأ الخبر للمرة العاشرة، ثم هز رأسه ورفع عينيه محدثا إياي من خلف نظارته السميكة:

اكتشاف مذهل سوف يقلب ما توصلنا إليه بخصوص جاذبية الأرض والقمر والمذنب القادم إلينا رأسا على عقب. خاصة لو علمت أن القمر قد بدأ يخرج من أسر جاذبية الأرض بمسافة كبيرة..

بالتأكيد صائد الأقمار اللعين قد بدأ لعبته المعتادة في اقتناص القمر.

هز الدكتور أسامة رأسه وهو يقول مؤكدا:

القمر يبتعد عن الأرض منذ فترة طويلة قبل زيارة صائد الأقمار بزمن.. وبذلك تكون نظريتك صحيحة مائة في المائة. فمدار القمر حول محوره يتراجع كل عام بضعة سنتيمترات وفي الآونة الأخيرة زاد هذا التراجع بصورة رهيبة..

هل تقصد أن صائد الأقمار لم يجذب إليه القمر؟

صائد الأقمار مثله مثل أي لص يختطف فقط الأقمار الشاردة البعيدة عن سيطرة الكواكب أو التي تحررت من أسر جاذبيتها. وكما تعلم يا صديقي الكون كله وحدة واحدة أي خلل في جزء يؤثر في المنظومة الكونية كلها. حتى لو كان هذا الجزء كائن يبخ سمومه وأحقاده فيمن حوله، فتتأثر تبعا لذلك جاذبية الأرض فتؤثر بالتالي على مدار القمر وتأثير جاذبية القمر عليه فيكون هدفا لمذنب طائش يأخذه في أسر جاذبيته الرهيبة.

ترى هل يمكن إقامة حياة على سطح القمر؟

كنت أتساءل موجها حديثي للدكتور أسامة الكاشف. ترك شاشة الجهاز الذي أمامه كمن يرى إنسانا به مس من جنون، بينما كنت أواصل شرح فكرتي:

أقصد إنشاء مستعمرة فضائية ضخمة على سطح القمر تكون شبيهة تماما بشكل الحياة على كوكب الأرض، من حيث مكونات الجو من أكسجين ونيتروجين وثاني أكسيد الكربون وبخار ماء، بالإضافة إلى نسب الحرارة والرطوبة والضغط والجاذبية..

حرك وجهه نحوي وهو يسأل كأنه يسايرني:

ولكن العيش على القمر يتطلب تجهيزات مخصصة لإمكانية حياة الإنسان عليه، فبيئة القمر لا يمكنها استضافة أى حياة بشرية عليها بالشكل الطبيعى

مثلما هي على سطح الأرض. فالقمر لا يمتلك غلافا جويا فترتفع درجة حرارة على سطحه ظهرا لتصل إلى ١٣٤ درجة سليزيوس بينما تنخفض فى فترات الليل لتصل إلى ١٧٠ درجة سليزيوس تحت الصفر، أي استحالة الحياة سواء في النهار أو في الليل.

أجبته سريعا:

لدي تصميم لمستعمرة فضائية تسع عشرة آلاف نسمة مكيفة ذاتيا بحيث يعمل سطحها المصنوع من ألياف زجاجية كغلاف جوي يمنع دخول إشعاعات الشمس الضارة ويحفظ درجة الحرارة داخل المستعمرة بحيث لا تزيد عن ٤٠ درجة مئوية في الصيف ولا تقل عن ٤ درجات تحت الصفر في الشتاء.

ومن أين سيحصل ساكن القمر على الطاقة؟

من الشمس بالطبع بالإضافة إلى الطاقة الكونية الموجودة في الفراغ المحيط بنا كطاقة البلازما واستطعنا تسخيرها في السنوات الأخيرة..

وكيف ستعالج انعدام الجاذبية على سطح القمر؟

سنقوم بتجهيز هذه المستعمرة بحقول مغناطسية عن طريق التوليد الكهربي تعمل على معادلة الجاذبية داخل المستعمرة بالجاذبية الأرضية..

بدت ابتسامة باهتة على شفتي الدكتور أسامة الكاشف ثم هز شفتيه:

كأنك تهدي المذنب قمرا بسكانه.. هي بلا شك حالة انتحار جماعي.

اقتربت منه محاولا توصيل الفكرة:

أنا لا أهذي يا دكتور أسامة.. القمر كان دائما بعيدا عن دائرة اهتمامنا وخططنا وتفكيرنا، بينما لو اتجهت أنظارنا إليه لربطه بالأرض، لكنا أقمنا عليه العديد من المدن وصارت هناك رحلات منتظمة بين الأرض والقمر، لما جرؤ أي جسم فضائي على الاقتراب منه.

قاطعني:

أنت تتحدث عن المذنب كما لو كان كائنا عاقلا يفكر ويختار ويميز بين الأشياء.. يا دكتور صبري. المذنب سيأتي ويختطف القمر بمن عليه، ولو انحرف بزاوية أكبر لاتجه نحو الأرض وقضى على كل مظاهر الحياة تماما.

رحت أتأمل كرة أرضية موضوعة على مكتبه وأنا أتحسسها برفق مربتا عليها:

نحن نعيش على هذه الأرض منذ عشرات الآلاف من السنين ولم نر جسما فضائيا بحجم مذنب اقترب من الأرض، اللهم إلا بعض الشهب والنيازك التي تخترق الغلاف الجوي للأرض وأقصى ما يمكن عمله هو إحداث بعض الحفر والفوهات كنيزك سيبريا الذي سقط عام ١٩٠٨ بالرغم أن الدلائل تشير إلى أن هذه الأجسام الفضائية الضخمة كانت تزور الأرض كثيرا قبل

وجود الإنسان. وهناك تكهنات بأنها هي التي قضت على الديناصورات.

ماذا تريد أن تقول؟

أرى أن وجود الإنسان في حد ذاته له حماية من هجوم هذه الأجسام الفضائية، فالأماكن المأهولة بالبشر لا يمكن اغتصابها.

هز رأسه بغير اقتناع:

مع الأسف هذا التصور لا أتفق معك فيه على الإطلاق لأنه لا يخضع إلى منطق علمي.

قال هذا ثم عاد إلى شاشة الجهاز باحثا عن صائد الأقمار..

(١٢)

لم يكن من السهل في البداية إقناع الناس بفكرة بناء مستعمرة على القمر والذهاب للعيش فيها انتظارا لصائد الأقمار بدلا من انتظاره على الأرض. اعتلت الدهشة الوجوه وطالب البعض بالكشف على قواي العقلية.

الوحيدة التي أيدت الفكرة وشجعتني عليها هي «لونا» فلم يقتصر دورها على التأييد والتشجيع فقط بل راحت تجتذب العديدين وهي تصف لهم

خطورة اقتناص القمر وكيف أن المستعمرة المنشأة على سطح القمر ستمنع المذنب من الاقتراب لتغير طبيعة الحياة على سطح القمر..

ومع اقتراب المذنب وتزايد الحديث عن الأخطار التي ستنجم عن اقتناص قمرنا الوحيد والكوارث التي ستحيق بكوكب الأرض وسكانه.. بدأ الناس يقتنعون بالفكرة.

وسرعان ما جذبت الفكرة بعض المستثمرين ورجال الأعمال، راح كل منهم ينظر إليها حسب الفائدة التي ستعود عليه منها. وبدأ بالفعل تدشين أول مستعمرة فضائية سيتم إطلاقها نحو القمر.. بعد تثبيتها على صاروخ دفع موجه نحو القمر.. وقد انهمك فريق ضخم من العمال في بناء هذه المدينة القمرية العملاقة..

رحت أتأمل النموذج أو الماكيت لهذه المستعمرة التي اتخذت شكل نصف كرة من البللور الصلب المعالج بألياف زجاجية تتحمل الحرارة الشديدة والبرد القارس. وداخلها تبدو المدينة القمرية المكونة من وحدات مخروطية الشكل منخفضة الارتفاع.. بين كل مجموعة من هذه البيوت طرق متسعة وزرعت على الجانبين نباتات مختلفة الألوان مبهجة المنظر وأشجار زهرية قصيرة.. بينما انتشرت في سمائها سحب أرجوانية رائعة راحت لونا تعلق بإعجاب:

يا لها من مستعمرة رائعة.. كم أتمنى أن يأتي سريعا اليوم الذي سنعيش فيها وقد ولى إلى غير رجعة هذا المذنب القرصان..

قريبا يا لونا سيجمعنا قمر كما تجمعنا أرض. لن نترك هذا أو ذاك.

ردت معقبة:

أتوقع أن يكون هذا القمر بمثابة منتجع أو رحلة استجمام نطل منه على كوكبنا الأزرق وقد تألق في الليالي الصافية..

ونعيش فيه ثلاثتنا أنا وأنت وابنتي نور.. فهي التي أوحت لي بفكرة تعمير القمر هذه

لا تدري ماذا تفعل بي كلماتك إنها تشعرني بالانتشاء والسعادة..

وفي المساء خرجت على الناس عبر شاشات التلفاز لأذيع عليهم أخطر نبأ سمعوه:

«في الوقت الذي يمر فيه كوكب الأرض بالعديد من المحن لم يمر بها في أي عصر من العصور الغابرة، أعلن مجموعة من العلماء قبل قليل أن كوكب الأرض قد بدأ يفقد جاذبيته. لذلك لابد من البحث عن كوكب آخر بديل للعيش فيه. وليس هناك أقرب إلينا من القمر».

(١٣)

لم يبق لي من جاذبية الأرض سوى اثنتين أولاهما ابنتي «نور» هي الوحيدة التي تربطني بهذه الأرض وتشعرني بأنني مازلت على قيد الحياة، فكنت أتسلل خفية إلى قريتنا فأقضي الساعات مع ابنتي مراعيا ألا يراني أحد.

وكانت صغيرتي تلاحقني بالأسئلة عن سبب وجودها في هذا المكان وقد بدأت تشعر بثقل هذا السجن الذي وجدت نفسها فيه بلا مدرسة ولا أصحاب حتى أمها لم تعد تلتقي بها.. الأم أيضا عدت هذا التصرف خرقا للاتفاق الذي بيننا وفسرت إبعاد نور على أنه محاولة أخذها منها بالقوة وهددت باللجوء إلى القضاء لضم نور لحضانتها.

أما الثانية فهي لونا. فمنذ دخلت حياتي وأنا أنظر إلى الحياة بمنظار جديد.. فلم تعد الأرض هي الأرض ولا القمر هو القمر بل لم نعد نحن كما كنا فلسنا مجرد ذكر وأنثى يعشقان ككل العشاق وإنما كائنان كونيان يدوران في فلك واحد بين أرض وقمر وهناك أجسام شريرة تريد أن تفسد هذا الحب الوليد. بعض الناس يرونه مذنبا ونحن نراه هباء سيبتعد بنفخة الحب وسحره.. هكذا المحبون في كل عصر لا يرون الأشياء على حقيقتها.

ما يقلقني هو اختفاء لونا الذي دخل يومه الثالث دون أن تترك أثرا يدل عليها، فمنذ توقفت أجهزة الهاتف عن العمل انعدم الاتصال بيننا وكأننا

عدنا إلى الخلف مائتي عام دفعة واحدة. فقد انقطعت عن الذهاب إلى مركز أبحاث القمر ولا أحد في المركز يعلم عنها شيئا.

ذهبت إلى بيتها للسؤال عنها، استقبلتني أمها بالدموع، القلق والحسرة يأكلان قلبها.. أخبرتني أنها لم تأت إلى البيت منذ ثلاثة أيام وآخر مكالمة بينهما أكدت لها أنها في الطريق. طمأنتها ومشيت وأنا أكثر حيرة. تطاردني أسئلة ليس لها إجابات.. أين ذهبت لونا؟ ومن اختطفها؟ بالتأكيد الإجابة لدى البروفسور الشرير هارون شكران. هو بلا شك وراء ما يحدث الآن. سأحمله على الاعتراف بخطف لونا والإدلاء بمكانها حتى لو تطلب الأمر قتله..

ما أن رآني أمام منزله حتى راح يتطلع إلي بعينين مدهوشتين، فقلت له بلهجة حادة حاولت قدر الإمكان تخفيفها:

أريد أن أتحدث معك في أمر هام..

تفضل

قادني إلى حجرة مكتبه ثم أغلق الباب وواجهني بعينيه الثعلبيتين:

تحت أمرك.

فوجئ بفوهة مسدسي باتجاه قلبه لكنه راح يتظاهر بعدم الاكتراث ورسم ابتسامة باهتة على وجهه وراح يقول:

واضح أنك مولع هذه الأيام بمشاهدة أفلام الرعب والإثارة.

لا تحاول التظاهر باللا مبالاة.. فلا يخفى على أحد أن لك أياد فيما يحدث هذه الأيام من انقطاع خطوط الهاتف والكهرباء والاتصالات.. كل هذا ستحاكم عليه أنت وجماعتك، أما أن يصل الأمر للخطف والتهديد بالقتل فلن أقف مكتوف اليدين وستتحمل نتيجة فعلتك الآن.

أطرق قليلا ثم نظر لي بجدية:

اسمع يا دكتور. أنا رجل علم قبل أي شيء لي أبحاثي وتجاربي وأفكاري. قد نختلف حول النظرية والمنهج والتطبيق لكن عندما يتعلق الأمر باتهام فهذا أمر لا يمكن السكوت عليه وأستطيع أن أحملك نتيجة اتهامك الخطير هذا. لكنني أقدر ما أنت فيه..

صرخت في وجهه بغيظ وإصبعي فوق الزناد:

كعادتك دائما تجيد المراوغة والمداورة لكنني لن أسمح لك سأقضي عليك في الحال إن لم تقل لي أين لونا؟

مرت فترة صمت بيننا حسبته يفكر فيها لكنني فوجئت بيده تضرب يدي بقوة فأطاحت بالمسدس بعيدا ثم انقض علي ولوى يدي خلف ظهري وهو يصيح:

أستطيع الآن أن أقتلك ولن يلومني أحد إن فعلتها فأنا في حالة دفاع عن النفس، لكنني لن أفعلها فالقتل والخطف ليس من شيمتي فأنا رجل علم

كما قلت لك. وحتى أؤكد لك أنك على خطأ خذ اقرأ هذا.. خطاب تهديد وصلني منذ أيام إذا واصلت أبحاثي عن صائد الأقمار.. فهناك من يريد أن يصرفنا عن البحث حول المذنب القادم إلينا ويعبث بنا جميعا..

راحت عيني تجري على الورقة ثم التقطت مسدسي من على الأرض وخرجت من غرفة مكتبه وأنا أقول:

أرجو المعذرة..

• • •

في اليوم التالي عندما وصلت إلى مركز أبحاث القمر وجدت أسامة الكاشف في حالة يرثى لها. متوتر وقلق يضرب كفا بكف حينما سألته عن السبب فأخبرني بأن مساعدته سحر قد تم اختطافها من قبل مجهولين..

بدا واضحا أن هناك تنظيما عصابيا تموله منظمات دولية مهمته اختطاف الباحثين والعلماء وقتلهم إذا تطلب الأمر بهدف إيقاف كل الأبحاث عن القمر.. ترى ما جدوى ما يفعلونه وماذا فعلوا بلونا وسحر؟ هل قتلوهما؟ من الضحية القادمة؟

كل هذه الأسئلة كانت تلاحقني وأنا في طريقي إلى بيت العائلة بالقليوبية حيث تقيم ابنتي «نور» تحت حراسة مشددة خوفا من تنفيذ تهديدهم وخطفها، بل لم أستبعد أن يتم اختطافي في أي لحظة..

عندما وصلت كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل وفوجئت بأنوار البيت مضاءة ولم تعتد نور السهر حتى هذه الساعة، ترى من معها؟

فتحت الباب لتتعلق ابنتي نور بي وهي تقول في سعادة:

بابي. لماذا تأخرت؟ أشكرك يا حبيبي أن أرسلت لي صديقتي لتبقى معي أثناء غيابك..

من خلف الستار خرجت «لونا» وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة عذبة غير أنني لاحظت وجود جرح سطحي أعلى جبهتها.. دون ان أدري اندفعت نحوها وأنا أصيح:

لونا؟ ماذا حدث؟ وأين كنت؟ وكيف جئت إلى هنا؟

غمزت بعينها وهي تشير نحو نور، فالطفلة لن تتحمل سماع ما جرى لها فأمسكت عن الكلام وطلبت من نور أن تتوجه إلى حجرتها لتنام وطمأنتها أن لونا ستبقى معنا في البيت.. فرحت الصغيرة وانطلقت نحو حجرتها. وما أن صعدت نور حتى اندفعت نحو لونا أعانقها بشوق بينما راحت تبكي بانفعال وهي تقص علي أحداث الساعات الرهيبة التي قضتها بصحبة هؤلاء الأوغاد الذين اختطفوها:

أثناء عودتي من مركز أبحاث القمر متخذة الطريق الساحلي الممتد بين حلايب والقاهرة وعند منطقة رأس غارب اعترضت طريقي سيارة جيب

سوداء اللون مرقت بجانبي كالسهم ثم اتخذت وضعا عرضيا بينما نزل منها أربعة ملثمين مدججين بالسلاح. كدت أصطدم بالسيارة فاضطررت للتوقف وسرعان ما وجهوا سلاحهم نحوي، وأمروني بالنزول من السيارة. واقتادوني إلى سيارتهم ووضع أحدهم على أنفي منديلا به رائحة نفاذة. وغبت عن الوعي في الحال.

تسكت لونا قليلا لتمسح دمعة سقطت من عينيها ثم تواصل حديثها:

أفقت لأجد نفسي ملقاة داخل مخزن قديم في منطقة مهجورة يبدو أنه قريب من مرعى للماشية أو الخنازير فقد زكمت أنفي روائح كريهة.. واستطعت أن أتبين المكان بالرغم من أنني حاولت فتح الباب فلم أستطع. فقد أدركت أنني وسط صحراء مترامية الأطراف حيث الريح بالخارج تزمجر بشدة وتضرب الجوانب الصفيحية فأشعر أنها ستتهاوى فوقي، ومن بين فرجات الباب استطعت أن ألمح جبلا متوسط الارتفاع.. ظللت أبكي وأنا وحدي في هذا المكان أتوقع لدغة من عقرب أو عضة من حية في أي وقت. حتى سمعت صوت سيارة تتوقف بالخارج وينزل منها شخص يفتح الباب ليظهر ذلك العملاق الأصلع وعلى شفتيه تلك الابتسامة الواثقة المتحدية. بدأت أصرخ وأصيح بانفعال وأهدد وأتوعد فلطمني على وجهي وهو يصيح.. ضعي في اعتبارك أنك لن تخرجي من هذا المكان أبدا. أما زملاؤك بالمركز وعلى رأسهم ذلك الصحفي النجيب صبري فؤاد فسأحضرهم جميعا هنا وأعلق رؤوسهم على باب هذا المخزن.

سألتها:

وكيف تمكنت من الهرب والوصول إلى هنا؟

بمساعدة إحدى الخادمات كان قد تركها.. رقت لحالي فساعدتني على الهرب. ولم أجد مكانا أكثر أمنا إلا هنا فتراهم الآن يبحثون عني في كل مكان.

ضممتها وأنا أمسح دموعها:

لقد مررت بظروف عصيبة حقا.. حمدا لله على سلامتك. أفضل شيء فعلته أنك جئت إلي.. ستكونين في أمان هنا ولن يستطيعوا الوصول إليك.

راحت لونا تعلق بأسى:

كم أتمنى أن يأتي سريعا اليوم الذي نعيش فيه معا وقد ولى إلى غير رجعة هذا المذنب القرصان..

تركتها متيما وانطلقت في طريقي إلى مركز أبحاث القمر. عندما وصلت كانت في انتظاري مفاجأة لم أتوقعها. فقد تمكن رجال الشرطة من مداهمة أحد الأماكن المشبوهة بالقرب من منطقة وادي دارا برأس غارب وتم تبادل إطلاق النار بين الشرطة والخاطفين فمات أحد الرجال وألقي القبض على اثنين وفر الباقون. وعثر في المكان على سحر مساعدة الدكتور أسامة الكاشف مقيدة وفي حالة انهيار وتم نقلها إلى المستشفى.

أسرعت إلى المستشفى كانت سحر تتحدث بانفعال وهي تحكي كيف تم اختطافها واقتيادها إلى هذا المكان وتعذيبها..

بعد أن انتهت رحت أقول مهدئا من روعها:

هذا نفس ما حدث مع لونا. فقد أخبرتني أنهم اختطفوها وعذبوها بنفس الطريقة حتى تمكنت من الهرب مساء أمس..

فوجئت بسحر تحدثتني بصوت واهن:

د. صبري خذ حذرك من لونا. فهي مع العصابة وتنقل أخبارنا أولا بأول.. هي التي سلمتني لهم وقامت بتعذيبي..

وكأن صاعقة هوت فوق رأسي وشعرت أن الدنيا تدور من حولي:

لونا؟ مستحيل تفعل ذلك ولماذا؟

رد أسامة بصوت مقبض:

لم أرتح لها منذ وضعت قدميها في المركز. كل ما أخشاه أن تحاول الوصول إلى ابنتك نور..

صرخت بلا وعي:

إنها مع نور الآن..

(١٤)

انطلقت بسيارتي بأقصى سرعة في اتجاه قريتنا تصارعني أفكار متضاربة.. كان أقساها ذلك السوط الذي رحت أجلد به ذاتي طوال الطريق.. لم أصدق أني وصلت إلى هذه الدرجة من السذاجة حتى أقع فريسة لتلك الفتاة الغريرة لتستولي على قلبي وعقلي وأخيرا أسلمها ابنتي بهذه البساطة..

أي مصير ينتظرك يا نور حتى تتحملي نتيجة سذاجة والدك. ليتني كنت تركتها مع أمها فهي قادرة على حمايتها أكثر منك.. آه لو طالتك يداي يا لونا.. أي شيطان هذا الذي سيحميك مني.. لكن المهم أن أصل إليها قبل أن تسلم نور للعصابة..

وراح الشيطان يعبث برأسي طول الطريق فيصور لي مشاهد لابنتي لا يمكن احتمالها. وهي مفصولة الرأس، ممزقة الجسد، غائرة العينين.

رحت أنظر إلى الطريق أمامي وقد زادته السحابة إظلاما حتى أنني أضأت لمبات السيارة والساعة تشير إلى الثانية عشرة ظهرا وشعرت لوهلة أنني أنطلق في الفضاء بين ظلام الكون وبدت السيارات التي كنت أتجاوزها كثقوب سوداء تكاد تجذبني إليها في زمن عزت فيه الجاذبية أو تكاد تتلاشى ولم يبق منها بالنسبة لي غير ابنتي التي تواجه أسوأ مصير..

في لحظة تمنيت أن يقترب صائد الأقمار ليلتهم القمر ويلتهم معه الأرض ويمحى كل شيء في الوجود كأنه لم يكن.. فما قيمة الحياة بدون نور؟

لا أدري كيف وصلت إلى القرية والظلام يهبط عليها فلا تشعر بانصرام النهار ولا بهبوط الليل بفعل هذه السحابة الآثمة. وبالكاد تلمح ضوء القمر في ركن وقد تعلق فيه ذيل فبدا كمسخ ورأيت بعض الصبية قد اتخذوا منه لعبة يتسلون بها وهم يرددون:

«يا قمر يا قمر يا أبو ذيل ارحل خذ معك هذا الليل»

وبدا بيتنا من بعيد كالقلعة الحصينة لا أحد يستطيع الاقتراب منها.. غير ساءني أن أراه وقد أضيء بضوء خافت حزين.. أسرعت داخله وأنا أنادي:

نور.. نور

لم يأتني رد.. رحت أجري في أنحائها أصعد درجات وأهبط أخرى وأنا كالمجنون:

نور.. أين أنت يا نور؟

وكأن قلعتنا العتيدة قد دخلها الغزاة وتركوها خرابا. فلا صوت ولا حركة.. خرجت كالمجنون فوجدت الحارس وقد غط في النوم صرخت فيه:

أين ذهبت نور؟

راح يتثاءب ثم قال في تكاسل:

الآنسة لونا أخذتها معها لتذهب بها إليك بناء على طلبك..

دفعته بكل قوة وقد طاش صوابي.. تجمع حولي بعض الرجال وهم يسألونني:

ماذا حدث يا دكتور؟

صحت فيهم والحسرة تأكلني:

نور ابنتي اختطفت..

صاح رجل:

لقد رأيتهما منذ قليل متجهتين إلى الطريق العام.

في لحظات تجمع رجال القرية وهم يحملون المشاعل وانطلقنا جميعا نحو الطريق العام بينما كنت أشهر مسدسي. من بعيد لمحت سيارة تقف على الطريق وهي تضيء وتطفيء اللمبات الأمامية.. وسمعت أحد الرجال يصيح:

ها هما..

أطلقت ساقي للريح وخلفي الجمع. حتى إذا اقتربنا منهما حاولت لونا الهرب بمفردها لكنني كنت في إثرها واندفعت نحوها جذبتها بقوة من شعرها المرسل الطويل فأطلقت صرخة مدوية. ورحت أكيل لها الضربات، خرج أحد الرجال الذين بالسيارة وأطلقوا النار نحونا. فأصابت رصاصة لونا وسقطت على الأرض مضرجة في دمائها.. وما أن سمعوا صوت سيارات الشرطة فروا هاربين..

وحملت نور ابنتي وأنا أقبلها بحرارة.. كانت تبكي في رعب دون أن تفهم شيئا.. فرحت أوضح لها بهدوء..

• • •

لم تمض غير ساعات حتى برقت السماء ورعدت، وبدأ لهب ينطلق بين السماء والأرض الحرائق تنتشر في كل مكان، السحابة تنفث غضبا وحنقا، النار تأكل كل شيء في طريقها، انفجارات هنا وهناك، بيوت تنهار بساكنيها، أجساد تنطلق في الهواء وتترنح على الأرض جثثا هامدة، أصوات استغاثة مكتومة تحت أنقاض البيوت، السماء تحولت إلى كتلة حمراء، الأرض أصبحت مسرحا لكوميديا هزلية، دماء ونار ودخان وصرخات.

بعد وقت ليس بقصير بدأت أمطار غزيرة تنهمر، كأنها دموع محبوسة داخل

قلب حزين شيئا فشيئا أخذت السماء تصفو، والأرض تخلو إلا من أنقاض البيوت المنهارة وجثث الضحايا وأعمدة دخان رفيعة أكلت نارها كل شيء.

وعلى بعد ظهر شبح لشيخ في الستين، تناثر شعره الأبيض على جانبي رأسه، لم يكن سوى البروفيسور أسامة الكاشف، أسرعنا نحوه أنا ونور، سرنا معا بينما كان خلفنا شبح لكلب أعرج يعوي عواء خفيفا. ومن وراء الأفق أطلت أشعة ذهبية ظلت مختفية أياما طويلة خلف سحابة عاتية سوداء..

في المساء عرجت على جاري هارون شكران الذي ما أن رآني حتى صاح:

– أنت يا رجل يا مخبول.. ماذا تريد؟

قبل أن يتمادى ضممته إلى صدري ورحت أقول له:

ليس هذا وقت عتاب يا هارون. الأمر أخطر بكثير من معرفة من المخطئ فينا. فالأرض في خطر يا هارون؟

– أية أرض تقصد؟

– أرضنا جميعا.

يبدو أن هارون شكران كان يشعر في قرارة نفسه بالخطر المحدق بنا ولكن لم تكن لديه القدرة على تفسير ذلك. وبينما كنا نسرع الخطى لنستقل أول مستعمرة فضائية ستنقلنا إلى القمر رحت أقص عليه سر الجاذبية المفقودة.

والتقت عينانا في نظرة طويلة وتعانقنا في حب كنا فقدناه لوقت طويل.

ومن القاعدة الفضائية بمدينة حلايب المصرية انطلق صاروخ عملاق نحو القمر كان يحمل في مقدمته المدينة القمرية الأولى وتحمل على متنها ما يقرب من عشرة آلاف شخص هم سكان القمر الأوائل..

كنا نقترب من القمر وبدأت المدينة القمرية تهبط شيئا فشيئا على سطحه. حتى استقرت فوق منطقة مستوية. وعندما نظرنا إلى السماء كان الجسم الدودي الكئيب قد اختفى تماما بينما أطل علينا كوكب الأرض ساطعا في بهاء أزرق رائع.. وراح كل منا يعانق الآخر في لحظة انتصار نادرة..

• • •

سيرة ذاتية

صلاح معاطي

- عضو اتحاد كتاب مصر .. عضو نادي القصة .. عضو جمعية الأدباء.. عضو نقابة المهن السينمائية .. عضو رابطة كتاب الخيال العلمي بدمشق.
- أصدر عددا من الكتب ما بين الرواية والقصة القصيرة والمسرحية والدراسات الأدبية.
- نشر في العديد من الصحف والمجلات العربية مثل الأيام البحرينية، والمنتدى الإماراتية، والبيان الإماراتية، والمنتدى السعودية، والأهرام والجمهورية والمساء والقاهرة والقصة بمصر، ومجلة التقدم العلمي بالكويت والعربي الكويتية..
- كتب عددا من الأعمال الدرامية للإذاعة والتليفزيون ما بين السهرة والسباعية والمسلسل.
- ترجمت بعض أعماله مثل مجموعة العمر خمس دقائق إلى اللغة الإنجليزية واللغة التركية – رواية خزانة شمائل إلى الإنجليزية واللغة القازاقية بكزاخستان – رواية الكوكب الجنة إلى اللغة الإنجليزية.
- حصل على العديد من الجوائز الأدبية من أبرزها جائزة محمد تيمور للإبداع المسرحي، جائزة نادي القصة، جائزة إحسان عبد القدوس في الرواية.

الأعمال الصادرة:

١) أنقذوا هذا الكوكب، قصص من الخيال العلمي، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٥

٢) العمر خمس دقائق، قصص من الخيال العلمي، هيئة للكتاب، ١٩٩١

٣) وصية صاحب القنديل، هيئة الكتاب، ١٩٩٥

٤) صحوة، هيئة قصور الثقافة، ١٩٩٥

٥) بنت الحاوي، دار جهاد، ١٩٩٧

٦) عائلة السيد رقم ١، المسرح العربي، هيئة الكتاب، ١٩٩٩

٧) السلمانية (رواية)، نادي القصة، ٢٠٠١

٨) ثمرة حب خائب، ٢٠٠٢

٩) بدرية بالخلطة السرية، قصص، هيئة الكتاب، ٢٠٠٢

١٠) قراطيس، قصص، دار فرحة،٢٠٠٣

١١) محجوب بالمقلوب، قصص، ٢٠٠٥

١٢) عيون أينشتين، قصص، هيئة الكتاب ٢٠٠٦

١٣) بدار عاشق الديار، رواية، دار الهلال، ٢٠٠٧

١٤) خزانة شمائل، رواية، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٨

١٥) الكوكب الجنة، رواية، دار الفاروق، ٢٠٠٨

١٦) بردين،رواية، دار الفاروق، ٢٠٠٨

١٧) هوس النرجس،رواية، دار الفاروق، ٢٠٠٨

١٨) وصية صاحب القنديل ط٢، دار الفاروق ٢٠٠٩ ١٩ – السلمانية ط٢، رواية، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٩

٢٠) مس العشاق، رواية، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٩

٢١) رجل زاده الخيال، رواية، دار الفاروق، ٢٠١٠

٢٢) شيفرة آدم، رواية، دار الطلائع، ٢٠١٠ ٢

٢٣) عفاريت ترانزيت، رواية، دار صرح، ٢٠١٠

٢٤) الخيال العلمي بين العلم والخرافة، دار الوراق، الأردن، ٢٠١٤

٢٥) البدو. أمراء الصحراء (بمشاركة د. عطيات أبو العينين)، دار الوراق، الأردن، ٢٠١٤

٢٦) بونجا، رواية، دار كلمات عربية، ٢٠١٤

٢٧) نزف البنفسج، رواية، دار الياسمين، الإمارات، ٢٠١٤

٢٨) ذراع أوريون، قصص، دار الياسمين، الإمارات ٢٠١٤

٢٩) رواش صاحب الجراج، قصص، دار الياسمين، الإمارات٢٠١٤

٣٠) نجمة الحظ، دار المعارف، ٢٠١٥

٣١) الخلايا الغاضبة، قصص، هيئة الكتاب السورية ٢٠١٥

مسابقة أدب الخيال العلمي

تعلن «دار النخبة» عن إطلاق المسابقة الأدبية العربية الأولى في أدب الخيال العلمي «القصة القصيرة» حسب الشروط التالية:

* لا تزيد القصة المرسلة على عشر صفحات.

* توافر عناصر القصة القصيرة ومقومات أدب الخيال العلمي.

* الأعمال الفائزة سيتم نشرها ضمن الأعداد المقبلة من «سلسلة الخيال العلمي».

* تمنح أول قصتين فائزتين جائزة مالية.

* موعد استقبال الأعمال الخاصة بالمسابقة من ١٠/ ٤/ وحتى ١٠/ ٥/ ٢٠١٦.

* يتم الإعلان عن القصص الفائزة بعد تقييمها من قبل الهيئة الاستشارية في موعد أقصاه ١/ ٦/ ٢٠١٦.

* ترسل الأعمال إلى العنوان التالي:

٣٣ ش الحرية (السنترال)، المجاورة الأولى، الحلي الأول، مدينة الشيخ زايد، الجيزة، مصر

للاستفسار والاستعلام

ت ٠٠٢٠٢-٣٨٥١١٩٦٩

٠٠٢-٠١٢٨٨٦٨٨٨٧٥

ايميل: arabsciencefiction@gmail.com

ترقبوا العدد المقبل

من سلسلة الخيال العلمي

مايو ٢٠١٦

رواية..

كــرات النــار

د. عطيات أبو العينين